

# الباب الأول

موقف القرآن الكريم والسنة النبوية  
من المسيحية والمسيحيين ومبادئ الحوار  
معهم في ضوء الكتاب والسنة



## الفصل الأول

### موقف القرآن الكريم من المسيحية والمسيحيين

جاء القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، فختم الله تعالى به الشرائع والأديان، ليهدي البشرية، وليصحح ما انحرف من تعاليم الديانات السابقة عموماً، واليهودية والمسيحية بصفة خاصة.

وإن الباحث في القرآن الكريم يجده قد رسم صورة واضحة لكل ما يتعلق بالمسيحية، من حيث: نبيها - عليه السلام - وأتباعه، وعقيدته. وقد ذكر القرآن الكريم أيضاً تحريف المسيحية بعد نبيها، في مجال العقيدة والشريعة، وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 48].

ومعنى أن القرآن الكريم مصدق لما قبله من الكتب السماوية: أي مؤيداً لما جاء فيها من الحق - قبل تحريفها وتغييرها -، ومعنى: ﴿ومهيماً عليه﴾: أي رقيباً ومؤتمناً عليها، وحافظاً لها، ومصححاً لما دخلها من التحريف<sup>(1)</sup>.

وسيحاول هذا الفصل عرض موقف القرآن الكريم من المسيحية الحقيقية الأصلية المتمثلة في شخصية المسيح - عليه السلام -، وكل ما يتعلق بها، وكذلك عن حقيقة أتباع المسيح، وإنجيله المقدس. ثم صورة للمسيحية المشوهة المحرفة بعد المسيح، والأخطاء العقائدية التي وقع فيها المسيحيون.

وذلك من خلال المباحث التالية:

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 210).

## المبحث الأول

### الصورة الحقيقية للمسيحية في القرآن الكريم

ويضم هذا المبحث أربعة مطالب، هي:

#### المطلب الأول

##### صورة عائلة المسيح - عليه السلام - في القرآن الكريم

لا يوجد كتاب على وجه الأرض منح السيد المسيح - عليه السلام - وأمه البتول، وعائلته الكريمة، تكريماً وتبجيلاً أعظم من القرآن الكريم.

بل إن تكريم القرآن الكريم للمسيح وأمه وعائلته يفوق بلا ريب تكريم كل من التوراة والإنجيل الموجودين حالياً، وكان القرآن الكريم بالإضافة إلى هذا التكريم هو المصحح للأخطاء والانتهاكات والافتراءات الباطلة التي كانت توجه إلى السيد المسيح، وأمه الطاهرة على السنة المسيحية أنفسهم.

ففي القرآن الكريم توجد سورة آل عمران، وهي اسم عائلة المسيح - عليه السلام -، ولفظه (آل) كلمة تخاطب بها العائلات الكريمة الطيبة، وهذه السورة هي ثاني أطول سورة في القرآن الكريم.

وهناك سورة باسم سورة مريم، وهو اسم السيدة العذراء، والدة المسيح - عليهما السلام -.

على حين أنه لا يوجد في القرآن الكريم اسم لعائلة نبي الإسلام، محمد ﷺ، إذ لا توجد سورة تحمل اسم (بني هاشم)، أو (بني عبد المطلب)، ولا توجد سورة تحمل اسم (آمنة بنت وهب) والدة الرسول ﷺ.

ولقد ورد اسم أم المسيح - عليهما السلام - مريم بنت عمران في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً<sup>(1)</sup> كلها تتحدث عن العذراء بكل التقدير والتبجيل، من ذلك

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص665).

قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: 42].

وقوله تعالى: ﴿ وَنَرَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ لِرَبِّهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقْتِ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِحْسَانٌ مِّمَّا كَلَّمَكِ لَتَقْبَلَ لَهَا وَلَدًا كَرِيمًا ﴾ [التحریم: 12].

وقد تعرضت الآيات القرآنية لذكر عائلة المسيح وأمه على النحو التالي:

أولاً: أعطى القرآن الكريم صورة إجمالية للعائلة التي نشأ فيها السيد المسيح - عليه السلام -، بدءاً من جدته، والدة أمه العذراء - عليهما السلام - وهي امرأة عمران.

فذكر القرآن الكريم أنها امرأة مؤمنة خاشعة، نذرت لله تعالى إن رُزقت بوليد أن تجعله خادماً لبيت الله عز وجل، فكان قضاء الله تعالى أن يكون هذا الوليد أنثى.

ونشأت تلك الأنثى على أعظم المستويات التربوية، في العبادة والطهارة والعفاف، وكان هذا كله تهيئاً من الخالق العظيم، لتكون هذه الأنثى أمّاً لشخصية معجزة في ولادتها وحياتها ونهايتها، وهي شخصية المسيح - عليه السلام -، وما أروع تصوير القرآن الكريم لهذه النقاط، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَلَقَبْنَاهَا بِرَبِّهَا يَقْبَلُونَ حَسَنًا وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَلْنَاهَا زَكْرِيَّا كَلِمًا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَمُ أَنَّ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: 35-37].

ثانياً: عرض القرآن الكريم شخصية أم المسيح، مريم بنت عمران - عليها السلام -، وكيف أنها تلقت أعظم التربية والعناية الإيمانية، وذلك على يد نبي كريم، هو زكريا - عليه السلام -.

ثم وصف القرآن الكريم سمو وطهارة مريم - عليها السلام -، وكيف أن الله تعالى قد رفعها إلى مكانة راقية، حيث فضلها على نساء العالمين، وكان كل ذلك من خلال مخاطبة الملائكة لها، في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

وَطَهَّرَكَ وَأَمْطَفَنكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ يَمْرِيءُ أَفْنِي لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي مَعَ الزَّكِيَّةِ ﴿١٢﴾  
[آل عمران: 42-43].

ويمتدح القرآن الكريم عفة مريم وطهارتها - عليها السلام -، وذلك في موضعين:

الأول: في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَحَمَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانٌ وَالْحَنُوفُ عَلَيْهِمْ وَاتَّقَى الْيَهُودَ وَالنَّسَارَةَ وَالْمَسِيحِيَّةَ وَالنَّجْرَانِيَّةَ﴾ [التحریم: 12].

وهدف القرآن الكريم من هذا المديح الرائع للسيدة مريم - عليها السلام - هو الرد على تلك الافتراءات والأباطيل، التي تفوه بها اليهود في حقها - عليها السلام -، وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الافتراءات التي نطق بها اليهود وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرِيهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ مَهْتَنًا عَظِيمًا﴾<sup>(1)</sup> [النساء: 156].

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا آخُتُ هُنَرُونَ مَا كَانَ لَكِ بِأُولِي أَمْرٍ أَسْوَأَ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بِغِيًّا﴾ [مريم: 27-28].  
وهذا نوع من القذف بالمنكرات، بلفظ غير صريح<sup>(2)</sup>.

فكل حديث في القرآن الكريم عن مريم العذراء - عليها السلام - هو حديث إلهي سام، ووحى رباني كريم، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، بل هو من منبع النور، ومصدر الوحي، إنه من عند الله تعالى، الذي قال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَغْنَاهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 44].

إن مريم - عليها السلام -، بكلمة مختصرة، إنسانة طاهرة صديقة، وأم نبي كريم من أولي العزم، حملت به بمعجزة، ووضعت به بمعجزة، وقد صدق الله العظيم

(1) انظر تفسير الآية: مفاتيح الغيب (11/98).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (11/99). وتفسير القرآن العظيم (3/119).

حين وصفها بقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ  
صِدِّيْقَةٌ﴾ [المائدة: 75].

ثالثاً: عرض القرآن الكريم لولادة المسيح - عليه السلام - بدءاً من البشارة به،  
وانتهاءً بمجيء أمه به تحمله إلى قومها:  
وذلك وفق مايلي:

(أ) - البشارة لمريم - عليها السلام - بأن الله تعالى سيرزقها غلاماً، يتصف  
بالصفات الكريمة التالية: إنه إنسان وجيه، وصالح، ونبي مقرب إلى ربه تعالى،  
وابن مبارك، بار، وهو رحمة للناس عند بعثته، وآية معجزة عند ولادته. وذلك في  
موضعين:

الأول: قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ  
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٦﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْوَهْدِ وَكَهَلًا  
وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٧﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ إِذَا  
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 45-47].

الثاني: قول الله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾  
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ  
مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي  
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَهِنٍ وَلَيَجْعَلُهُ آيَةً  
لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: 16-21].

(ب) - الحمل بالسيد المسيح - عليه السلام - ومكان ولادته، وحال الولادة:

حيث تظهر الصورة النفسية للسيدة مريم - عليها السلام -، وهي تعاني من آلام  
المخاض، والوحشة بسبب الوحدة، ثم ذلك الهم القاتل الذي بدأ يتتابها، حين  
فكرت بالجواب الذي ستجيب به قومها إذا عادت إليهم، وهي تحمل هذا الغلام،  
وهي العفيفة الطاهرة. فتمنت بسبب هذا كله الموت، ولكن عناية الله تعالى كانت لها  
بالإحاطة التامة، يقول الله تعالى مصوراً كل هذه الحال: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَاتَّبَدَّتْ بِهِ  
مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢١﴾ فَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جَنَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا

مَنْسِيًّا ﴿٢٢﴾ فَادْنَبَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٣﴾ وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ  
تَسْقُطَ عَلَيْكَ رَطْبًا جَبِيًّا ﴿٢٤﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴿٢٥﴾ [مریم: 22-26].

وكل ذلك في مكان هاديء، ذي خضرة وجمال وماء، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا  
ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: 50].

(ج) - تتابع الآيات عرض تلك الصورة، وبخاصة ذلك الموقف الحرج  
والصعب، لفتاة مشهورة بالعفاف والطهارة، وهي تأتي قومها حاملة بين يديها طفلاً  
رضيعاً، حيث يبدأ الغمز واللمز، وهممة الكلام السيء في حقها، ترى ما هو  
جوابها؟! أمام هؤلاء جميعاً، وهي لا تمتلك حجة أو دليلاً على كل كلمة ستنتطقها،  
فكان إلهام الله تعالى، أن يكون موقفها بشكل يدعو إلى الاستغراب الكبير، ويدفع  
مَنْ حولها للاهتمام الأكثر بشأنها، والالتفات إلى حالتها، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا تَرِيَنَّ  
مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا  
تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتِ شَيْعًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هَنُوتًا مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ  
أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ [مریم: 26-29].

وهنا تبدأ شخصية المسيح - عليه السلام - بالظهور إلى ساحة الحياة الإنسانية،  
حيث يعلن القرآن الكريم حقيقته التي اختلف فيها كثيراً، وهذا ما سيتم إبرازه في  
المطلب الثاني.

## المطلب الثاني

حقيقة المسيح - عليه السلام - كما ذكرها القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم صورة المسيح الحقيقية، من لحظة ولادته إلى نهاية وجوده  
على وجه الأرض، موضحاً حقيقة هذه الشخصية، وهدف دعوتها، وأركان  
رسالتها، وما اختصها الله تعالى بالمعجزات.

وذلك على النحو التالي:

(1) - عيسى ابن مريم - عليه السلام - هو بشر مخلوق، وعبد للخالق عز وجل،  
وليس هو بئله، ولا بابن إله، وأمه ليست أم إله، بل هي امرأة طاهرة ظهرت براءتها

على لسان رضيعها، وكانت هذه هي الحقيقة الأولى التي نطق بها المسيح وهو في المهد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴿ [مريم: 29-30].

فالمسيح ليس إلا بشراً مخلوقاً، ونبياً مرسلأً، كما قال الله تعالى عنه: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف: 59].

والمسيح لن يستكبر عن الخضوع لخالفه، والتسبيح بحمده، بل يتشرف في كونه عبداً لله تعالى، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: 172].

وما كانت ولادته - عليه السلام - بهذا الشكل المعجز، إلا لأنه آية للناس، وابتلاء من الله تعالى، وامتحان لهم.

ولقد سبقه في هذه الطريقة المعجزة التي خلقت بها، في تميّزها وغرابتها، مثل قديم، وهو مثل آدم أبي البشر - عليه السلام -، قال الله تعالى: ﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: 59].

(2) - عيسى ابن مريم - عليه السلام - نبي ورسول من عند الله عز وجل، كغيره من الأنبياء والمرسلين، جاء ليدعو إلى توحيد الخالق سبحانه وتعالى، ويصحح انحراف الناس عن دينهم، وبعدهم عن شريعتهم، يقول الله تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: 75].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ [الزخرف: 63].

وقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ [البقرة: 253].

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ رُسُلَنَا وَفَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ [الحديد: 27].

(3) - عيسى ابن مريم - عليه السلام - إنسان بار بوالدته، ليس بجبار ولا شقي،

قال الله تعالى على لسانه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ فِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: 32].

وهذه الحقيقة القرآنية تنفي بوضوح كل ما جاء في الإنجيل الحالي، من أن المسيح - عليه السلام - كان إنساناً عاقاً، مستهتراً بأمه، يناديها بكل لا مبالاة، ويكلمها بكل جفوة، حيث ورد في الإنجيل قوله: «مالي ولك يا امرأة؟»<sup>(1)</sup>.

(4) - عيسى ابن مريم - عليه السلام - قدوة صالحة، وأنموذج رائع للإيمان والعبادة والإخلاص لله تعالى، يقول الله تعالى على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: 30-31].

(5) - حقيقة رسالة المسيح - عليه السلام -، ومحدوديتها، إذ بعثه الله تعالى إلى طائفة محددة من البشرية، فليست رسالته عامة لكافة الناس، وإنما هو نبي مرسل إلى بني إسرائيل، و فقط، والآيات القرآنية واضحة في هذه النقطة، حيث تبين محدودية رسالة المسيح، واختصاصها ببني إسرائيل وحدهم، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: 6].

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٨﴾ وَرَسُولًا إِنْ بَقِيَ إِسْرَائِيلَ أَتَى قَدْ جِئْتَكُمْ بِتَايَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 48-49].

وإن محدودية رسالة المسيح - عليه السلام -، واختصاص دعوته ببني إسرائيل، أمر واضح تماماً في الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين حالياً، فقد صرح بذلك المسيح نفسه، في قوله: «لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة»<sup>(2)</sup>.

وهذه النصوص السابقة فيها رد واضح على كل دعوى تقول: إن المسيحية دين عالمي، وإن التبشير به من أركان ذلك الدين.

ومن الخطأ أيضاً تسمية الحواريين بالرسول، والقول بأن المسيح قد أمرهم بالإنشار في البلدان للدعوة إلى المسيحية.

(1) العهد الجديد، إنجيل يوحنا، الإصحاح (2)، الفقرة (4).

(2) العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح (15)، الفقرة (24).

(6) - يعرض القرآن الكريم حقيقة المسيح - عليه السلام - ومهمته التي جاء لأجلها، وأن له وقتاً محدداً سوف يمضي فيه بدعوته إلى الله تعالى، حيث سيبلغ رسالة ربه المتمثلة في الإنجيل، ولتتابع شريعة وسيرة التوراة، يقول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآيَاتِنَا فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: 46].

(7) - يذكر القرآن الكريم إحدى أهم وظائف المسيح - عليه السلام - وهي الإخبار والتبشير بمجيء النبي الخاتم ﷺ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ [الصف: 6].

(8) - المسيح - عليه السلام - هو كلمة الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: 171].  
والمقصود بالكلمة هنا: الأمر الإلهي، الذي صدر عن الله تعالى بلفظ (كن)، من غير واسطة أب<sup>(1)</sup>.

وتعني الكلمة أيضاً بشارة الله تعالى، وهديته، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 45].

(9) - المسيح - عليه السلام - هو روح من الله تعالى<sup>(2)</sup>، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: 171].  
وهذه الإضافة (روح الله) هي إضافة التشريف والإجلال والتكريم كما يقال (بيت الله) و(رسل الله) و(نعمة الله) و(ناقة الله)<sup>(3)</sup>.

ولعل هذه الإضافة لصفة عيسى - عليه السلام - إلى الله تعالى: (روح الله)، هي التي اعتمدها المسيحيون، وأقاموا على مدلولها أسس دينهم، في قضية التثليث،

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/22). وانظر: مفاتيح الغيب (8/47).

(2) انظر دراسة تفصيلية حول هذه النقطة الروح لابن القيم (ص 240) والفكر الإسلامي في الرد على النصارى (ص 312).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/22) ومفاتيح الغيب (11/115).

ففسروا هذه الألفاظ تفسيراً محمولاً على الظاهر، دون الانتباه إلى الدلالة اللغوية لهذه الإضافات .

وكلمة روح هنا ليست خصيصة اختص الله تعالى بها في قرآنه السيد المسيح - عليه السلام -، فهناك معانٍ أخرى لكلمة روح، وهناك من أطلقت عليه هذه اللفظة أيضاً .

يقول الله تعالى عن آدم - عليه السلام - : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴾ [الحجر: 29] .

والقرآن الكريم هو نفسه روح من أمر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى: 52] .

روحي الله تعالى لكل أنبيائه، سُمي في القرآن الكريم روحاً من أمر الله تعالى، يقول الله عز وجل: ﴿ يُنَزَّلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل: 2] .

وجبريل أمين الوحي - عليه السلام - سُمي في القرآن الكريم روحاً من أمر الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: 17] .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّمَا لَنُنَزِّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ ١٥٦ ﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الشعراء: 192-194] .

وقد سُمي القرآن الكريم معونة الله تعالى، وتأييده، ونصره للمؤمنين، عند القتال بالروح منه، قال الله تعالى: ﴿ أَوْزَلْتِكَ كِتَابَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنَّا ﴾ [المجادلة: 22] .

(10) - معجزات السيد المسيح - عليه السلام - :

السيد المسيح - عليه السلام - نبي كسائر الأنبياء - عليهم السلام -، دعا قومه إلى الإيمان بالله تعالى، وبيّن لهم شرائع اختلفوا فيها، ومنهجاً للحياة السعيدة، يقول الله

تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: 63].

ومع هذه الدعوة إلى الله تعالى، كان لابد من معجزات تُظهر تأييد الله عز وجل لرسوله بدعوته، وهذه المعجزات تتناسب مع أحوال كل قوم من الأقسام<sup>(1)</sup>.

والمعجزات المذكورة في القرآن الكريم عن المسيح - عليه السلام - هي:

1- إبراء الأكمه .

2- إبراء الأبرص .

3- إحياء الموتى .

4- نزول المائدة من السماء .

5- تصوير الطين، والنفخ فيه، فيصبح حياً بإذن الله تعالى .

6- الإخبار ببعض المغيبات .

7- الكلام في المهدي .

وكل هذه المعجزات هي بأمر الله تعالى وإذنه، وليس فيها أية خاصية يختص بها

المسيح - عليه السلام - دون سائر الأنبياء - عليهم السلام - .

والآيات التي ذكرت تلك المعجزات لم تُغفل هذه الناحية، حيث بينت أن هذه

المعجزات هي لإثبات نبوة المسيح - عليه السلام - وكلها تجري بأمر الله تعالى

وتأييده .

يقول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ

مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَزْرَعُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْزِلُ

الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 49].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي أَمْرٌ بِكَ أَنْ تَرْضَىٰ اللَّهَ وَاللَّهُ يَرْضَىٰكَ وَأَنْ يُضَيِّقَ لَكَ

بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالْقُرْآنَ

(1) انظر الحكمة من كون معجزات المسيح بهذا الشكل: البداية والنهاية (2/84).

وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ وَتُبْرِئُ  
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ  
جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: 110].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَتَكُونُ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِيَائِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾

[المائدة: 112-115].

(11) - نهاية المسيح - عليه السلام -:

لقد ذكر القرآن الكريم فيما يتعلق بنهاية عيسى ابن مريم بين قومه آيتين هما:  
الأولى: قول الله تعالى: ﴿ ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَيْتُكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ تَوْفَاقًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [آل عمران: 52-55].

الثانية: قول الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء: 157-159].

إن هذه الآيات الكريمة تقرر النقاط التالية في قضية نهاية المسيح - عليه السلام - على هذه الأرض<sup>(1)</sup>.

(1) انظر تفسير الآيات السابقة: مفاتيح الغيب (11/99). وما بعدها. والجامع لأحكام القرآن (4/100) و (6/9). وتفسير القرآن العظيم (1/366) و (1/574).

(أ) - تنص الآيات على أن السيد المسيح - عليه السلام - لم يُصلب أبداً، ولم يُقتل أبداً، ولم يُصب بأي أذى.

(ب) - تنص الآيات أن هناك إنساناً آخر - غير المسيح - قد وقع عليه شبهُ المسيح - عليه السلام - فُصِّلَ بدلاً عنه.

(ج) - تنص الآيات على أن الله تعالى قد أحاط بنبيه المسيح - عليه السلام - بكل الرعاية والعناية، ورفع له إليه، تكريماً وحماية، لتخليصه من أيدي العابثين<sup>(1)</sup>.

إن كل ما سبق عرضه هو من باب المعجزات للسيد المسيح - عليه السلام - وهذه المعجزات هي من قدرة الله تعالى، فلا يمكن أن تكون بالنسبة لله عز وجل أمراً مستغرباً، إذ إن قدرته عز وجل لا حدود لها.

ثم لم تكن هذه الرعاية والحماية، والحفظ من القتل أو الصلب، وكذا قضية الرفع للمسيح - عليه السلام -، لم تكن هذه الأمور إلا لحكمة أرادها الله عز وجل لامتحان الناس، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۗ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 157-158].

« وإن الناظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عن نهاية المسيح - عليه السلام - على وجه الأرض، ليجد أن إنجيل (برنابا) قد وافق هذه الآيات تماماً، فقد جاء في الفصلين (215/216) مانصه: «ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جمع غفير، فلذلك إنساب إلى البيت خائفاً، وكان الأحد عشر نياماً، فلما رأى الله الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه، أن يأخذوا يسوع من العالم، فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح الله إلى الأبد.

(1) حول هذه النقطة، انظر: فتح الباري (6/491). ومبادئ العقيدة الإسلامية (ص338). وكبرى اليقينيات الكونية (ص322). والتصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص62). وهناك رأي يخالف الرأي المشهور أورده الشيخ محمود شلتوت، انظر: الفتاوى، للشيخ شلتوت، ص(59). وما بعدها.

ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصدع منها يسوع، وكان التلاميذ كلهم نياماً، فأتى الله العجيب بأمر عجيب، فتغير يهوذا في النطق، وفي الوجه، فصار شبيهاً بيسوع، حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع، أما هو فبعد أن أيقظنا، أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم، لذلك تعجبنا، وأجبنا: أنت ياسيد، هو معلمنا، أنسينا الآن؟ أما هو فقال مبتسماً: هل أنتم أغبياء، حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي؟ وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا، لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه<sup>(1)</sup>.

### المطلب الثالث

#### صورة الإنجيل الحقيقية في القرآن الكريم

ورد ذكر الإنجيل في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً<sup>(2)</sup>. حيث وصفه القرآن الكريم بأربعة أوصاف، هي:

- (1) - الإنجيل هو الهدى.
- (2) - الإنجيل هو النور.
- (3) الإنجيل هو المصدق للتوراة التي جاء بها موسى - عليه السلام -.
- (4) - الإنجيل هو الموعدة للمتقين.

يقول الله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِنَّا أَنزَلْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: 46].

وسمى القرآن الكريم الإنجيل باسم (الكتاب)، وذلك في قوله تعالى على لسان المسيح: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ؕ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣١﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴿٣٠﴾ [مريم: 30-31].

والإنجيل الذي أنزله الله تعالى على المسيح - عليه السلام - هو وحي إلهي جاءت فيه تعاليم المسيح، ودعوته الناس إلى الله تعالى، وبشارته بالنبى الجديد، الذي سيأتي بعد المسيح - عليه السلام - حيث ستكون بعثته - أي النبى الجديد - خاتمة لكل

(1) إنجيل برنابا (ص308). وانظر: يهوذا الإسخريوطي على الصليب (ص266) وما بعدها.

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص688).

البعثات والرسالات، ومن أهدافها تخفيف كثير من الأعباء على بني إسرائيل، وتبشر هذه البعثة بالسماحة والخير والرحمة، يقول الله تعالى: ﴿ وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف: 156-157].

## المطلب الرابع

### صورة الحواريين الحقيقية في القرآن الكريم

ورد ذكر الحواريين في القرآن الكريم في خمسة مواضع (1).

والحواريون هم تلاميذ المسيح وأنصاره، الذين آمنوا به، وصدقوه، واتبعوا دينه. وقد سماهم القرآن الكريم بالأنصار، قال الله تعالى: ﴿ ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ [آل عمران: 52].

وكان من دعاء الحواريين في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ﴿ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: 53].

وكان من إلهام الله تعالى للحواريين أن أمرهم بالإيمان به، وبرسوله، وقد آمنوا، وشهدوا بأنهم مسلمون (2): ﴿ ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ [المائدة: 111].

وقد طلب الحواريون من المسيح - عليه السلام - معجزة لأجل أن يزدادوا إيماناً، وتطمئن قلوبهم بها (3).

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص 220).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 363). وتفسير القرآن العظيم (2/ 115).

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 365). وتفسير القرآن العظيم (2/ 116).

كما سأل الخليل إبراهيم - عليه السلام - ربّه تعالى بقوله: ﴿ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: 260].

وجاء هذا الطلب للمعجزة في قولهم: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقْوُونَ اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 110] قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمَئِنَّ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَكَوْنٍ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: 112-113].

وقد استجاب المسيح - عليه السلام - لطلبهم، بعد أن حذّره من الانحراف إذا أجاب الله دعاءه، فدعا ربه تعالى: ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [المائدة: 114].

وامتدح القرآن الكريم الحواريين، ودعا إلى الاقتداء بهم، والسير على نهجهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِثِينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ﴾ [الصف: 14].

ووصف القرآن الكريم الحواريين بالرأفة والرحمة، بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [الحديد: 27].

إن كل ما سبق ذكره عن شخصية المسيح - عليه السلام - وحقيقته، ورسالته، ونهايته، وما ذكر عن أمه البتول - عليها السلام - وعن إنجيله، وحواريه، كان كل ذلك هو الجانب الهادي الإيجابي في العرض القرآني للمسيحية، وهو جانب الحقيقة التي تتعلق بالمسيح، وأمّه، ودينه، وهذا الجانب هو الذي يؤمن به المسلمون في كل زمان، وعلى مر العصور، ولهذا السبب كانت لديهم تلك النظرة السامية من الإجلال والاحترام والتقدير للمسيح، وأمّه - عليهما السلام - ودينه وكتابه.

وهذا العرض القرآني للمسيحية بهذا الشكل الهادي، ودون اللجوء إلى أسلوب المجادلة، وإبراز الأخطاء التي وقع فيها المسيحيون، هو إشارة غير مباشرة للمسلمين حتى يسيروا وفق هذا المنهج في طريقة حوارهم، وعلاقتهم مع المسيحيين.

إن ما سبق عرضه هو الصورة الأصلية للديانة المسيحية كما أرادها الله تعالى أن تكون، وكما جاء بها المسيح نفسه - عليه السلام - وكما سار عليها أتباعه من الحواريين .

فهو الصورة المضيئة الصحيحة للمسيحية، ديانة السيد المسيح - عليه السلام - خالية من أي تحريف، أو تشويه، أو تبديل - زيادة أو نقصاناً - .

## المبحث الثاني

### الصورة السلبية للمسيحية المشوهة بعد المسيح في القرآن الكريم

إنه الوجه الثاني، والأسلوب الآخر الذي تحدث فيه القرآن الكريم عن المسيحية، ولكن: أية مسيحية؟! . . . إنها المسيحية المحرفة والمشوهة، التي كانت بعد المسيح - عليه السلام - وحتى نزول الوحي على النبي ﷺ .

وفي هذا الوجه والأسلوب عرض للمسيحيين أنفسهم، وعرض لرهبانهم وأخبارهم، بعد أن حرّفت المسيحية، وابتعدت عن صفاتها الحقيقي، ودخلت فيها الأخطاء .

وفي هذا الوجه أيضاً عرض لمواقف المسيحيين من الدعوة الإسلامية، ومن النبي ﷺ ورسالته، ودعوته .

وكل هذا العرض مترافق تماماً مع العدالة القرآنية الرائعة، والتي لم تُصدر الأحكام شاملة، على كل المسيحيين، ورهبانهم، وأخبارهم، بل كان الاستثناء دائماً لتلك الفئة القليلة ممن اتبعوا الحق، ولم يحرفوا ديانة المسيح - عليه السلام - وآمنوا برسالة النبي الكريم ﷺ بعد ما تبين لهم الحق .

وقد كان العرض القرآني للوجه الثاني للمسيحية المحرفة والمشوهة، وفق الأسلوب الآتي :

## المطلب الأول

مخاطبة القرآن الكريم لمن اتبع الحق من المسيحيين بأفضل الأساليب .

لقد خاطب القرآن الكريم اليهود والنصارى بأجمل الألفاظ، والطف العبارات، لقد قال لهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ حيث وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم في واحد وثلاثين موضعاً<sup>(1)</sup>.

من ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [آل عمران: 64].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾

[المائدة: 19].

وإن كلمة أهل الكتاب لقب يدل على الاحترام الذي خوطب به المسيحيون واليهود في القرآن الكريم، وبمعنى آخر، فالله تعالى يخاطبهم ب: يا أهل العلم. ويا أصحاب المخطوطات المقدسة<sup>(2)</sup>.

وخاطبهم أيضاً في ثلاثين موضعاً بلفظ: ﴿ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ ﴾<sup>(3)</sup>. أو بنفس المعنى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 144].

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾

[النساء: 47].

وفي موضع واحد خاطب القرآن الكريم المسيحيين بلفظ: ﴿ أَهْلَ الْإِنجِيلِ ﴾ وذلك في قول الله تعالى: ﴿ وَلِيَحْكُرَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: 47].

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص592) وما بعدها.

(2) انظر: مجموعة كتب في مقارنة الأديان (ص200).

(3) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص592) وما بعدها.

وقد قسم القرآن الكريم أهل الكتاب إلى قسمين :

الأول: الذين أصروا على كفرهم، وعنادهم، ورفضوا رسالة النبي محمد ﷺ، ودعوته.

والثاني: الذين آمنوا بالنبي محمد ﷺ واتبعوا الحق الذي جاء به، وهؤلاء قد تحدث القرآن الكريم عنهم بكل احترام وتقدير، ومدح وتعظيم لشأنهم.

وجاء ذكر هؤلاء - النوع الثاني - وهم مؤمنوا أهل الكتاب في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً.

فلم يَغْمَطُ القرآن الكريم حقوق هؤلاء ومكانتهم، بل أشار إلى عدالتهم وإيمانهم، وخشيتهم لله تعالى، وتواضعهم له، وامثالهم لأوامره، واجتنابهم لنواهيه.

ويتحدث القرآن الكريم عن كل الذين آمنوا من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين ويخبر عن نهايتهم عند الله تعالى، بأن لهم الأمن والأجر الكريم، فكل من اتبعوا دين الله الحقيقي الذي جاءهم به رسولهم من عند الله تعالى، سواء أكان مسلماً اتبع رسالة الإسلام، أم يهودياً اتبع رسالة موسى - عليه السلام - وكذا كل مسيحي وصابئ، بأن آمنوا بالله ووحده، وصدقوا باليوم الآخر، وعملوا الصالحات التي أمرتهم بها رسلهم، فلن يضيع الله تعالى أجرهم أبداً.

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰلِحِينَ وَالصَّابِئِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (1)

[البقرة: 62].

وفي موضع آخر يتحدث القرآن الكريم عن المؤمنين من أهل الكتاب بالحق، وأنه لا يستون مع غيرهم من الذين أصروا على كفرهم وعنادهم، بقوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٧٦﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي

(1) وقد ورد نفس المعنى في سورة المائدة الآية 69.

الْحَيَّرَتْ وَأَوْلَيْتِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ  
بِالْمُنْفِقِينَ ﴿١١٤﴾ [آل عمران: 113-115].

ثم يمتدح القرآن الكريم أولئك الذين اتبعوا الحق، وكانوا خاشعين، ولم يأخذوا شيئاً مقابل الحق وإظهاره واضحاً، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَابَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 199].

ثم سَمَى القرآن الكريم علماءهم الذين يتبعون الحق: الراسخين في العلم، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَنْ كُنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 162].

ويتحدث القرآن الكريم عن خشوعهم، ورقة قلوبهم، عندما يؤمنون برسالة النبي محمد ﷺ، وعن خضوعهم التام لآيات الله تعالى، بل ويعتبرهم أقرب الناس إلى المسلمين، وذلك في موضعين:

الأول: في قول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْتُكَ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ فَيَقْسِيصُونَ وَرُذْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُّ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: 82-84].

والثاني: قول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُونَ وِزْرًا يُذْهَبُ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: 107-109].

ويبشر القرآن الكريم كل من آمن من أهل الكتاب، واتبع رسالة النبي محمد ﷺ، بأن له من ربه أجرين، الأول: أجره لاتباعه نبيه الأول، قبل وصوله رسالة الإسلام. والثاني: أجره لاتباعه النبي محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ

مُسْلِمِينَ ﴿٥٢﴾ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبَدَرُوا بِالْحَسَنَةِ الَّتِي نَدَبُوا بِهَا رَفَقَتَهُمْ  
يُنْفِقُونَ ﴿[الفصص: 52-54].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(1)</sup> [الحديد: 28].

ثم يعرض القرآن الكريم لأهل الكتاب أجراً وثوابهم عند الله تعالى لو أنهم  
آمَنوا بالنبي ﷺ واتبَعوا رسالته، والحق الذي أنزل معه وذلك في قول الله تعالى:  
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٩﴾  
وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَأُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ  
مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [المائدة: 65-66].

وبصورة عامة عندما يتحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب يستثني طائفة منهم،  
ويشير إلى أنهم لا يخضعون للحكم الذي صدر في حق الجميع، وذلك في قوله  
تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مِمَّا آتَاكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ  
فَنَاقُونَ﴾ [المائدة: 59]. حيث جاء لفظ ﴿أكثركم﴾ بمعنى أن هناك البعض ليسوا  
بفاسقين.

ويتضح ذلك أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ  
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 68].

ومن هذا الاستثناء، وعدم التعميم في إصدار الأحكام، عرض القرآن الكريم  
قضية أخلاقية هامة، وهي الأمانة عند بعض أهل الكتاب، وصورها بالتصوير الآتي  
في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ  
يُدْبِرْ لَكَ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: 75].

(1) وانظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (17/ 266).

## المطلب الثاني

### وصف القرآن الكريم للذين رفضوا الحق، واتبعوا أهواءهم

وهذه هي الصورة الثانية، لأولئك الذين رفضوا رسالة الحق، وأصروا على كفرهم وعنادهم، وحاربوا الله ورسوله بكل الأساليب، فلم يقف القرآن الكريم منهم موقف المشاهد، بل عرّى حقيقتهم، ووضح صورتهم، وبيّن أخطاءهم وانحرافاتهم، وحذّر من أتباعهم، أو اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، وذلك على النحو التالي:

(1) - نسيان أهل الكتاب للميثاق الذي قطعوه على أنفسهم، لئن جاءهم النبي الأمي ليؤمنن به وليتبعنه، وقد ذكر الله تعالى ذلك الميثاق في قوله الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُوهٗ﴾ [آل عمران: 187].

وهكذا الميثاق مكتوب عندهم في إنجيلهم، يقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوٓا۟ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: 14].

(2) - جراتهم على الله تعالى في أقوالهم واعتقاداتهم: فتارة يدعون أنهم على الحق، ومن سواهم على الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135].

وتارة يدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُ فُلِمْ يَمْذُبِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: 18].

وتارة يجعلون الجنة ورحمة الله تعالى خاصة بهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة: 11].

ثم وصلت بهم الجرأة على الله تعالى بأن نسبوا إليه ولداً - سبحانه الله عما يقولون -، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30].

ثم وقعوا في شر أعظم من ذلك، وأبشع، وذلك بادعائهم بأن الله تعالى هو نفسه

المسيح ابن مريم - سبحان الله وتعالى -، وأطلق القرآن الكريم عليهم لفظ الكفر، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 17].

وقد وصف القرآن الكريم كل هذه النقاط السابقة بالكذب، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 75].

(3) - الغرور والأمانى: وهو أحد أمراضهم الخطيرة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: 135].

ومن غرورهم ادعاءاتهم بأنهم لن يعذبوا في النار إلا وقتاً يسيراً، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 24].

ومن أمانيتهم أيضاً ادعاؤهم بأن الجنة خاصة بهم، ولن يدخلها أحد غيرهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: 111].

(4) - المعاندة والإصرار على الباطل، ولو اتضح الحق: فأهل الكتاب يعلمون أن النبي محمداً ﷺ صادق في دعوته، ورسول من عند ربه تعالى، ولكنهم يرفضون الإذعان للحقيقة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146].

وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: 114].

(5) - احتقارهم للآخرين، وعدم الاكتراث بما عند الآخرين من الحق، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75].

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: 113].

(6) - عدم رضاهم عن من لم يتبع نهجهم وملتهم: يقول الله تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120].

وإنما اتبعوا منهج منع كل إنسان من الوصول إلى الحقيقة، وتشويه كل براهينها،

ومحاولة الانحراف بها، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تُصَدِّدُونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مِنۢ مَّآءٍ أَمِنَ تَبَغُّوتَهَا عُوجًا وَأنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِيلٍۭ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: 99].

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَآبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَآلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوٓا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [النساء: 44].

(7) - حسدهم للمؤمنين على فضل الله تعالى عليهم، وتمنيهم لو يكفر المؤمنون بما أنزل إليهم من ربهم، قال الله تعالى: ﴿ وَذَكَرْنَا مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَآبِ لَوْ يَرُدُّوٓنَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ [البقرة: 109].  
وقوله تعالى: ﴿ وَذَاتَ ظُلُمَآةٍۭ مِّنۢ أَهْلِ ٱلْكِتَآبِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوٓنَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: 69]. وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: 54].

(8) - الغلو في الدين: وهو أيضاً من أخطر أمراض أهل الكتاب، حيث عظموا المسيح، عيسى ابن مريم - عليه السلام -، ورفعوه إلى مكانة عالية، ثم ادعوا بأنه إله مع الله تعالى، وقد حذرهم القرآن الكريم من هذا الغلو، وذلك في قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلٌۭ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوْحٌۭ مِّنۡهُ ﴾ [النساء: 171].

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ أَهْوَاءَ قَوْمٍۭ قَدْ ضَلُّوٓا۟ مِنۢ قَبْلُ وَأَصْلُوٓا۟ كَثِيْرًا وَضَلُّوٓا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الباندة: 77].

ثم وصل بهم الغلو في دينهم إلى درجة التعصب المقيت، بحيث رفضوا كل شيء سوى دينهم، قال الله تعالى - حكاية عنهم -: ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾

[آل عمران: 73].

(9) - الاختلاف فيما بينهم بسبب بغيتهم، وظلمهم، وغلوهم، وتعاليتهم، الأمر الذي أدى إلى تفرقهم وتمزقهم، في حقيقة دينهم، رغم وجود البينات والعلم فيهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ ٱلْكِتَآبَ وَٱلْعَمَرَ وَٱلنَّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيْبَتِ وَقَضَّيْنَاهُمْ عَلَى ٱلْمَلِكِيْنَ ﴿١٦﴾ وَأَتَيْنَاهُم بِبَيِّنَاتٍۭ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا اٰخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مَنۢ بَعْدَ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الباندة: 16-17].

(10) - ابتداعهم الترهيب، والانحراف به عن الأصل الذي شرعه الله تعالى لهم، قال الله تعالى: ﴿وَرَهَابِنَا بَدَعُوا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>(1)</sup> [الحديد: 27].

(11) - وقوع أهل الكتاب في مرض قسوة القلب، بسبب بعدهم عن رسالة الله تعالى، وقد حذر الله تعالى المسلمين من هذا المرض، في قوله الكريم: ﴿الَّذِينَ يَأْتُواكَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَدْعُوهمَ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

### المطلب الثالث

#### موقف القرآن الكريم من تحريف التوراة والإنجيل

وضَّح القرآن الكريم كل ما يتعلق بعملية تحريف الكتب السماوية المنزلة، وبخاصة التوراة والإنجيل، وبيّن كل الأساليب التي اتبعتها أهل الكتاب في تعاملهم مع كتبهم المقدسة، من تشويه للحقائق، وتزيين للأباطيل، وذلك وفق النقاط التالية<sup>(2)</sup>:

أولاً: تحريفهم لكلام الله تعالى: والتحريف هو صرف الكلام عن معناه الحقيقي، إلى معنى آخر، ثم إلقاؤه إلى العوام<sup>(3)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا﴾ [المائدة: 13].

ثانياً: تبديلهم كلام الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 59]. [الأعراف: 162].

ثالثاً: تزوير الكتاب، وتأليفه، ثم الادعاء بأنه وحي الله تعالى لهم، ليأخذوا مقابله شيئاً من متاع الدنيا، يقول الله تعالى: ﴿قَوْلِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ

(1) وانظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (17/ 262). وتفسير القرآن العظيم (4/ 315).

(2) انظر: هل الكتاب المقدس كلام الله؟ (ص 13) وما بعدها.

(3) انظر: الجامع لأحكام القرآن (6/ 115).

يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا  
يَكْسِبُونَ ﴿ [البقرة: 79].

رابعاً: كتمان الحق، وتزييفه، ثم تليسه بالباطل، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتَلِ  
الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُوتَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ ﴿ [آل عمران: 71]. وقوله  
تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَمْرُقُونَ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ  
يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: 146].

خامساً: نبذ الكتاب، وإهماله، بمعنى عدم اتباعه، والعمل بما جاء فيه، اتباعاً  
للهوى، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ  
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [البقرة: 101].  
وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ  
فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿ [آل عمران: 187].

سادساً: إخفاء الكتاب، وبخاصة فيما يتعلق بالبشارات التي جاءت فيه مبشرة  
بالنبي محمد ﷺ، وبما يتعلق أيضاً بالأحكام الشرعية التي أنزلت عليهم، قال الله  
تعالى: ﴿يَتَأْتَلِ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ  
تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴿ [المائدة: 15].

سابعاً: الإيمان ببعض الكتاب، والكفر ببعض الآخر: قال الله تعالى:  
﴿أَفْتَوْمُونُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا  
خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿ [البقرة: 85].

ثامناً: لِي الألسنة بالكتاب، ليحسبه الناس من الكتاب، وذلك بتحسين الصوت،  
وتنغميمه، على أن الكلام الذي يتلى هو وحي سماوي، وهو ليس كذلك في  
الحقيقة<sup>(1)</sup>. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ  
الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى  
اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [آل عمران: 78].

(1) انظر: تفسير المنار (3/ 344).

## المبحث الثالث

الأخطاء العقائدية التي وقع فيها المسيحيون بعد المسيح

كما صورها القرآن الكريم ورد عليها

ويتضمن هذا المبحث المطالب التالية :

### المطلب الأول

قضية الألوهية، وأخطاؤهم فيها: التثليث، تأليه المسيح، تأليه مريم<sup>(1)</sup>

عندما عُرِضَت النقاطُ السابقة تبين بوضوح حكم القرآن الكريم في أسس المسيحية الحقيقية، التي جاء بها المسيح - عليه السلام -، ودعا قومه إليها، تلك المسيحية الخالية من التحريف والتزييف، وليست المسيحية البشرية المنحولة، حيث أثبت القرآن الكريم بشرية المسيح - عليه السلام -، وأنه رسول مؤيد بوحى سماوي، وأنه دعا إلى عقيدة التوحيد.

وكذلك فقد قرر القرآن الكريم أن المسيح لم يقتل ولم يصلب، بل حفظه الله تعالى برفعه إليه.

وبالمقابل فقد رفض القرآن الكريم الصورة الثانية التي تعرضها المسيحية البشرية المنحولة، وبخاصة فيما يتعلق بقضية التثليث، حيث عرض القرآن الكريم لهذه القضية، وبين زيفها، ودعا أصحابها دعوة منطقية بالألأ يغالوا في دينهم، ولا يشتطوا في عقائدهم، وأن يلتزموا جانب الحق والإيمان، وأن يحكموا عقولهم في هذه القضية.

والآيات التي تحدثت عن قضية التثليث هي :

---

(1) انظر مفهوم عقيدة التثليث عند المسيحيين: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص356) وما بعدها.

(1) - قول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا نَحْنُهُمْ أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171].

(2) - وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[المائدة: 73].

إن عقيدة التثليث هذه، والتي عرض القرآن الكريم صورتها عند المسيحيين، تزعم أن الله تعالى ثالث ثلاثة، وأنه ثلاثة (أقانيم)<sup>(1)</sup> متساوية: الآب، والابن، والروح القدس. والمسيح هو أحد هذه الأصول الثلاثة فهو إله ابن إله.

ثم يركز القرآن الكريم على نفي ورفض هذا العرض كله، وذلك بتفنيد تلك الدعوى الباطلة، عندما ناقش فكرة (الإله الابن)، أو حسب التعبير القرآني (ابن الله) أو (ولد الله)، حيث ورد لفظ (ابن الله) في القرآن الكريم في موضعين:

الأول: جاء على لسان اليهود، والثاني: جاء على لسان المسيحيين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: 30].

وأما لفظ (ولد الله) فقد ورد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعاً<sup>(2)</sup> ومعه لفظ (ولد الرحمن).

وتعتبر القاعدة الأساسية للحقيقة القرآنية في هذه القضية هي سورة الإخلاص، أو ما تسمى سورة التوحيد<sup>(3)</sup>. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ لَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: 1-3]. حيث تنفي

(1) الأقانيم: ج: أقتوم. وهو شخص أو ذات مستقلة لوحدها. انظر: الله واحد أم ثالث؟

(ص9). والرد على النصارى، للجعفري (ص35). والمسيح في مفهوم معاصر (ص10).

(2) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص763).

(3) انظر: أسماء سورة الإخلاص: هامش الترغيب والترهيب (2/386).

هذه السورة مطلقاً أن يكون هناك أصل والد لله تعالى، أو أن يكون هناك فرع مولود عن الله تعالى، فلا والد ولا ولد مطلقاً<sup>(1)</sup>.

وكان الأسلوب الذي عرض فيه القرآن الكريم قضية نسبة الولد إلى حضرة الله تعالى، وردَّ عليها بالإبطال، وفق مايلي:

أولاً: إن القول بأن الله تعالى ولدًا، هو قول يشبه أقوال الأمم السابقة، قبل اليهود والنصارى، وما ادعاء اليهود والنصارى بأن الله تعالى ولدًا إلا تقليد لأولئك السابقين، وما قولهم هذا إلا كلام تلفظت به ألسنتهم لا حقيقة له مطلقاً ولا يستند إلى دليل أبداً، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَسَبْنَا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُولَدَ كَوْنًا﴾ [التوبة: 30].

ثانياً: كان نفي القرآن الكريم للقول بأن الله تعالى ولدًا، يجري دائماً مجرى التعظيم والتنزيه لله تعالى، ومعه عرض قرآني رائع لخضوع كل الكون، بسماواته وأرضيه ومن فيهن لسلطة وملكوت الله سبحانه وتعالى.

وقد ورد هذا الأسلوب في الآيات التالية:

(1) - قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُۥٓ بَل لَّمْ يَلْمُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلِّ لَمٍ قٰنِیْنُوْنَ﴾ [البقرة: 116].

(2) - وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلٰهٌ وَحِدٌۢ سُبْحٰنَهُۥٓ أَن يَكُوْنَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّمْ يَلْمُ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ وَكِیْلًا﴾ [النساء: 171].

(3) - وقوله تعالى: ﴿بَدِیْعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِۙ اَنۢ یَّكُوْنَ لَهُۥ وَلَدٌۙ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صٰحِبَةًۙ وَخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍۙ وَهُوَ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِیْمٌ﴾ [الأنعام: 101].

(4) - وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی لَمْ یَلِدْ وَلَمْ یُنۡحَدۡ وَلَمْ یَكُن لَّهُۥ شَرِیْكٌۙ فِی الْمَمَلٰكِ وَلَمْ یَكُن لَّهُۥ وِلٰیٌۙ مِّنَ الدُّنْیَا وَكَبِیْرَةٌ تَكْبِیْرًا﴾ [الإسراء: 111].

(1) انظر: تفسير سورة الإخلاص: الجامع لأحكام القرآن (20/ 244). وتفسير القرآن العظيم (570/4).

(5) - وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿ [الفرقان: 2-1].

(6) - وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (٢) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿ [مریم: 34-35].

(7) - وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ جَدْرَيْنَا مَا أَتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ [الجن: 3].

ثالثاً: إن الادعاء بأن الله تعالى ولداً هو ادعاء كاذب، ومحض افتراء، ولا يقوم أصلاً على دليل علمي، أو برهان عقلي، يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ هُوَ الْعَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿ [يونس: 68-69].

وقوله تعالى: ﴿ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿ [الكهف: 5-4].

رابعاً: كان من أسلوب القرآن الكريم أيضاً في إثبات بطلان هذه الدعوى، أسلوب التحدي، الذي تمثل في شكل مجازاة المدعي في دعواه، ثم نقض تلك الدعوى من أصلها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: 81].

والمقصود هنا<sup>(1)</sup>: قل - يا أيها الرسول - إن ثبت بالدليل القاطع أن الله تعالى ولدًا، فأنا أول من يعبد هذا الولد. ولكن يستحيل أن يكون لله ولد. وهذا كله مبالغة في استبعاد الأمر كلياً، أي: لا سبيل مطلقاً لمثل هذا الادعاء أو الاعتقاد.

وقد جاء هذا التحدي في صور أخرى، في قول الله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ

(1) انظر تفسير الآية: الجامع لأحكام القرآن (16/119). ومفاتيح الغيب (27/229) وما بعدها.



(ب) - يبين القرآن الكريم أن المسيح نفسه، وكل الأنبياء - عليهم السلام - وكذلك كل الملائكة، وبخاصة المقربون منهم، لن يستكبروا، ولن يأنفوا أن يكونوا عباداً لله تعالى، مهما بلغت منزلتهم، أو ارتقت درجاتهم عند الله عز وجل، يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْضُرُهُمْ إِلَهُ جَمِيعًا﴾ [النساء: 172].

(ج) - يركز القرآن الكريم على الخصائص البشرية في شخصية عيسى - عليه السلام - منذ لحظة ولادته إلى أن رفعه الله تعالى إليه، فقد سبق الوصف الكامل لكيفية ولادته، والعوارض التي عرّضت له في حياته، كإنسان له جسد يتأثر بكل ما يؤثر في الجسد ضمن إطار الحياة والموت.

وهذا كله يتنافى مع أية طبيعة إلهية، وقد ركّز القرآن الكريم تحديداً على قضية جسدية مهمة وأساسية، وهي موضوع الطعام في حياة الإنسان، وما يسبقه ويلحق به من عوارض تحيط به، من الجوع والعطش، ثم الأكل، ثم الحاجة إلى الإفراز لما طُعِمَ، وكل هذا يدل على المادية، ويستلزم بالضرورة الحاجة والفاقة، مما يتنافى مع الألوهية، حيث إنه من المعلوم بداهة أن من يحتاج إلى الطعام والشراب وغيره، هو ناقص في نفسه، ويسير بمعونة غيره، فهو ليس بآله غني، قائم بذاته، غير مخلوق، أو محتاج لأحد من خلقه.

وتلخص الآيات هذه الفكرة في قول الله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَوْ يُوقَفُونَ﴾ [المائدة: 75].

(د) - إن قصة ولادة المسيح - عليه السلام - والتي تعتبر معجزة خارجة عن القوانين الطبيعية، وكذلك كل ما جاء به المسيح - عليه السلام - من معجزات وخوارق ظهرت على يديه، يستحيل اعتبارهما دليلين على ألوهية المسيح.

لأن موضوع ولادته غير العادي كان له مَثَلٌ سابق، وهذا المثل السابق يُعتبر أكثر غرابة، وبعداً عن القوانين الطبيعية، وهو مثل آدم - عليه السلام - إذ خُلِقَ من دون أب وأم، على حين أن المسيح - عليه السلام - قد خلق من أم دون أب.

فلماذا لا يعتبر المسيحيون آدم - عليه السلام - إلهاً أيضاً، مثل حال المسيح - عليه السلام - ؟ ! . . . قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

وآدم - عليه السلام - ورد في القرآن الكريم أنه من روح الله تعالى، كمثل المسيح - عليه السلام -، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: 71-72].

وهذا هو نفس المعنى الذي جاء في حق المسيح - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91].

وأما موضوع المعجزات التي ظهرت على يد المسيح - عليه السلام - فقد أوتي كل الأنبياء - عليهم السلام - معجزات شتى، تشبه معجزات المسيح - عليه السلام - وبعضها يفوق معجزاته - عليه السلام - وكلها خارقة للنواميس الكونية، والقوانين الطبيعية، وهذا أمر لا يمكن اعتباره دليلاً على ألوهية المسيح مطلقاً.

(هـ) - يبين الله تعالى في كتابه الكريم عبودية المسيح - عليه السلام - لله عز وجل، في أكثر من موضع، وكيف أنه كان دائم الدعوة إلى عبادة الله سبحانه، وإلى توحيده وتنزيهه عن كل نقص أو شريك، ولقد كانت أول كلمة نطق بها المسيح - عليه السلام - وهو في المهد صبياً، كلمة العبودية للحق سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِي بِالْحَقِّ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿١٧﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴿١٨﴾﴾ [مریم: 29-31].

وفي موضع آخر يتحدث القرآن الكريم عن دعوة المسيح - عليه السلام - إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، فيقول: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَنْبَغِي لِاسْمِكَ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: 72].

(و) - يصور القرآن الكريم مشهداً من مشاهد الآخرة، يعتذر المسيح - عليه السلام - عن نفسه، أمام كل التهم الباطلة التي ألصقتها به من جاء من بعده، بادعائهم

بأنه إله من دون الله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْحَسِبُ ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ قُلْتُ لِلنَّاسِ امْخُذُونِي وَأُمَّيْ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُمْ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾

[المائدة : 116-117].

## المطلب الثاني

### قضية الصلب والفداء

تعتبر قضية الصلب والفداء من أهم عقائد المسيحيين، والتي تتلخص فيما يلي<sup>(1)</sup>:

يعتقد المسيحيون بأن هناك خطيئة ملازمة لكل إنسان يولد على هذه الأرض، وهذه الخطيئة موروثية منذ زمن آدم - عليه السلام - لأنه قد أخطأ في حق ربه عز وجل، فنزلت عليه العقوبة، فحمل آدم وذر الخطيئة، ثم حملها من بعده لكل ذريته، فكل إنسان لديه خطيئة يحملها دائماً، ولو أنه لم يخطيء في حياته قط.

وهذه الخطيئة المتوارثة كان لا بد من الانتهاء منها، فظهرت محبة الله تعالى الخالق للإنسان، في قضية الصلب والفداء، حيث أرسل الله تعالى ابنه الوحيد إلى البشرية، فتجسد، ثم سلم نفسه للصلب والقتل، وذلك فداء وتخليصاً لكل إنسان من الخطيئة الأصلية الموروثة، التي حملها إياها أبوه آدم، فكان المسيح هو الفداء، ليظهر الإنسان، ويصالحه نهائياً مع الله، ويعيد إليه الحياة الأبدية<sup>(2)</sup>.

ويرد القرآن الكريم على هذه الدعوى، ويبين زيفها وبطلانها من عدة وجوه، هي:

الوجه الأول: لا يوجد مطلقاً في القرآن الكريم، أو أية عقيدة سماوية صحيحة

(1) انظر مفهوم الخطيئة الأصلية عند المسيحيين: المسبح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص318-324-331).

(2) المرجع السابق (ص329).

ما يسمى (الخطيئة الأصلية الموروثة)، لأنه على فرض وجود هذه الخطيئة من قبل آدم أبي البشر - عليه السلام - وأنه لم يتب منها، فإنه يستحيل مطلقاً أن تُحمَل هذه الخطيئة لذريته من بعده، أو لأي إنسان آخر مهما كانت صفته، لأن هذا التحميل يُعتبر ظلماً واضحاً، وحاشا للخالق سبحانه وتعالى أن يظلم أحداً من خلقه، وهو أعدل الحاكمين .

ويؤكد القرآن الكريم في كل مناسبة أن كل إنسان هو المسؤول عن كل عمل قام به بنفسه وحده، ولا يمكن البتة أن يتحمل غيره أخطائه التي وقع فيها، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: 38]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: 15]. وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ أُنْفُسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ﴾ [الطور: 21]. وقوله تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة: 286]. وقوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ﴾ [إبراهيم: 51]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾ [النساء: 111]. وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمِزْتُهُ طَلَبُ فِي عُنُقِهِ ﴾ [الإسراء: 13].

الوجه الثاني: إن القول بوجود الخطيئة الأصلية، التي تسبب بها آدم - عليه السلام - قول ينفية الوحي الإلهي، حيث بين القرآن الكريم كيف أكرم الله تعالى آدم - عليه السلام -، وكيف أمر الملائكة بأن يسجدوا له سجود الإجلال والاحترام، وكيف علمه الله تعالى الأسماء كلها، ثم أسكنه جنته، ومعه زوجته، وكيف أنه نسي، ولم يكن له عزم، فأخطأ، وأكل من الشجرة، ثم تاب من خطيئته، واعترف بذنبه، وأناب إلى ربه، فقبل الله تعالى توبته، وغفر له خطيئته وقد وضح القرآن الكريم كل ذلك في موضعين:

الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَآزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: 35-37].

الثاني: قول الله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾

[طه: 121-122].

وقد بين القرآن الكريم أن الله تعالى اصطفى آدم - عليه السلام - وأكرمه هو وطائفة من ذريته، وفضله على العالمين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: 33].

وإضافة إلى هذا التكريم فلقد كرم الله تعالى كل بني آدم، وفضلهم على كثير من مخلوقاته، وسخر لهم مافي السموات ومافي الأرض، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70].

وبناء على ماسبق يمكن التساؤل: من أين أتت تلك الخطيئة التي يتحملها كل إنسان؟! ...

الوجه الثالث: ينفي القرآن الكريم قصة الصلب، أو القتل بالنسبة للسيد المسيح - عليه السلام - ويؤكد نقطة مهمة، وهي أن هناك حادثة صلب قد وقعت ولكن المصلوب ليس هو المسيح ابن مريم، وإنما هو شخص آخر، قد وقع عليه الشبه<sup>(1)</sup>.

أما المسيح - عليه السلام - فقد رفعه الله إليه، حفظاً وتكريماً، قال الله تعالى: ﴿ وَكَفَرْتَهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلْمِ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٥٥﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ [النساء: 156-158].

## المطلب الثالث

### قضية الروح القدس

يعتبر المسيحيون أن الروح القدس، وهو المَلَك جبريل - عليه السلام - هو ثالث الأقانيم التي تمثل الإله عندهم: الآب، الابن، الروح القدس<sup>(2)</sup>.

(1) انظر توضيح هذه النقطة: (ص83) من هذا الكتاب.

(2) انظر مفهوم الروح القدس عند المسيحيين: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث وفي المسيحية (ص264).

ولقد سبق الحديث حول مفهوم الإضافة في كلمة (روح الله) أو (كلمة الله)<sup>(1)</sup>.  
وهنا أيضاً لابد من التوضيح، حيث إن الإضافات لله تعالى نوعان<sup>(2)</sup>:

(أ) إضافة صفة: وهي إضافة صفة لله تعالى قائمة بذاته عز وجل، وليست مخلوقاً من مخلوقاته، ومنها أسماء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 58]. وقوله تعالى: ﴿أَوْلَعَبْرُوا أَنْكَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: 15].

(ب) إضافة عين (ذات): أي إضافة مخلوق من مخلوقات الله تعالى إليه، وهذه الإضافة لأجل التفضيل والتكريم والتشريف، كما خص الله تعالى ناقة صالح - عليه السلام - من بين النوق كلها بالإضافة إليه، بقوله الكريم: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: 13]. وكما خص الله تعالى البيت الحرام من بين بيوت مكة بالإضافة إليه، قال الله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتَ الْطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: 125]. وكما خص الله تعالى عباده الصالحين من بين الخلق كلهم بالإضافة إليه، قال الله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: 6].

ومن هذا الباب جاء قول الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: 17].

وهو جبريل الأمين - عليه السلام - فاستعادت مريم - عليها السلام - بالله تعالى منه، إن كان تقياً، بعد أن تمثل لها بشراً سوياً، فبيّن لها حقيقته، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [مريم: 19].

ولقد ورد اسم الروح القدس في القرآن الكريم في عشرة مواضع، حيث ذكر في ثلاثة مواضع: [مريم: 17، الأنبياء: 91، التحريم: 12]. بأنه - أي جبريل - هو الروح الذي تمثل للعذراء مريم - عليها السلام - .

وذكره الله تعالى بأنه أرسله إلى المسيح - عليه السلام - مؤيداً له، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبِنْتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: 87].

(1) انظر مفهوم الإضافة لحضرة الله تعالى (ص 79) من هذا الكتاب.

(2) انظر: مناظرة بين الإسلام والنصرانية (ص 438).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

[البقرة: 253].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرٌ نَّمَعْتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ لِدَانِكَ إِذْ أَيَّدْنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: 110].

وبالمقابل فقد ذكر القرآن الكريم أن الروح القدس قد نزل أيضاً على النبي محمد ﷺ موحياً إليه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلِيلًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: 97]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزَّلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَيَّ قَلِيلًا لِيُكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: 192-194].

إذاً فجبريل، الروح القدس - عليه السلام - هو واحد من الملائكة الذين يعملون بأمر الله تعالى، وهو عبد لله عز وجل، ولن يستكبر عن عبادة ربه تعالى. قال الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَكْبِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: 172].

وقد وصف الله تعالى الملائكة بقوله الكريم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ مِنْ حَشِيَّتِهِ، مُشْفِقُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْتِ إِلَهُ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 26-29].

## المطلب الرابع

### قضية اتخاذ الأبحار والرهبان أرباباً من دون الله تعالى

القضية هنا متصلة بربوبية الطاعة والاتباع، لا ربوبية العبودية والعقيدة، وقد كان للأبحار والرهبان تأثير كبير على الناس في أفكارهم ومعتقداتهم، حيث أقاموا الحواجز بينهم وبين الدعوة إلى الله تعالى، ويعتبرون أنفسهم واسطة بين الخلق

والخالق سبحانه وتعالى<sup>(1)</sup>. قال الله تعالى عن المسيحيين: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ  
وَرُهْبَانَهُمْ أَزْيَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا  
وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

وقد فسّر الرسول الكريم ﷺ هذه العبودية لعدي بن حاتم الطائي، عندما أجاب  
النبي ﷺ بقوله: «إنهم لم يعبدوهم». فقال النبي ﷺ: «بلى إنهم حرموا عليهم  
الحلال، وأحلوا لهم الحرام، فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم»<sup>(2)</sup>.

وقد جاء نص الإنجيل الحالي مطابقاً لهذا المفهوم، بقوله: «وأنا أقول لك أيضاً،  
أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها،  
وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في  
السموات، وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السموات»<sup>(3)</sup>.

هذه هي الصورة الإجمالية لكل ما يتعلق بالمسيحية، وعقيدتها، ونبيها،  
ودعوته، وأتباعه، وقد رسمها القرآن الكريم، واضحة جليّة.

حيثُ عُرِضَتْ خصائصُ المسيحية الحقيقية، التي جاء بها المسيح - عليه السلام -  
ثم عرضت الرد والإبطال لكل الدعاوى بالمنهج القرآني. وهذا كله يعطي الباحث  
شكلاً واضحاً للحوار الإسلامي المسيحي، وفق منهج القرآن الكريم.

ثم بعد هذا لا بد من الوقوف على موقف السنة النبوية المطهرة من المسيحية  
والمسيحيين، وهذا ما سيتم عرضه في الفصل الثاني من هذا الباب.

\* \* \*

(1) انظر: الحوار في القرآن (ص 128).

(2) رواه الترمذي في سننه (278/5).

(3) العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح (16)، الفقرة (19).

## الفصل الثاني

### موقف السنة النبوية من المسيحية والمسيحيين

يضم هذا الفصل ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: لقاءات النبي ﷺ مع المسيحيين، ولقاءات الصحابة في عصر النبي ﷺ مع المسيحيين، ودلالات هذه اللقاءات.

المبحث الثاني: الرسائل المتبادلة بين النبي ﷺ وبين المسيحيين، ودلالاتها.

المبحث الثالث: الأحاديث التي تكلم بها النبي ﷺ عن المسيحية، والمسيح، ودلالاتها.

### المبحث الأول

#### لقاءات النبي مع المسيحيين، ولقاءات الصحابة في عصر النبي مع المسيحيين، ودلالات هذه اللقاءات

لقد كان للمسلمين في العهد النبوي كثير من اللقاءات مع المسيحيين، سواء أكانت هذه اللقاءات بين النبي ﷺ وبين المسيحيين، أم كانت بين الصحابة وبين المسيحيين، ولكن ضمن التوجيهات النبوية.

ويتمثل هذا كله في ثلاثة مطالب، هي:

## المطلب الأول

### لقاءات النبي ﷺ مع المسيحيين، ودلالاتها

أولاً: لقاء النبي ﷺ مع ورقة بن نوفل<sup>(1)</sup>.

يعتبر ورقة بن نوفل واحداً من أربعة نفر فارقوا دين قريش<sup>(2)</sup>، وصار كل واحد منهم يبحث عن دين يعتنقه، فكان ورقة بن نوفل ممن استحکم في المسيحية، وصار عالماً من أعلام أهل الكتاب، في منطقة مكة المكرمة.

ولما نزل الوحي على النبي ﷺ ذهبت خديجة زوجته ﷺ إلى ورقة وكان ابن عمها، فأخبرته الخبر، فقال ورقة: قُدُوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة. فقولي له: فليثبت.

فرجعت خديجة إلى النبي ﷺ فأخبرته بقول ورقة بن نوفل.

ولما عاد النبي ﷺ من اعتكافه ثانية من غار حراء صنع كما كان يصنع، فبدأ بالكعبة فطاف بها، فلقية ورقة بن نوفل وهو يطوف، فقال: يا ابن أخي، أخبرني بما رأيت وسمعت. فأخبره النبي ﷺ. فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكذَّبَتْهُ، ولتُخْرِجَتْهُ، ولتُقاتَلَتْهُ، ولئن أدركتُ ذلك اليوم لأنصرتُ الله نصراً يعلمه. ثم أدنى رأسه، فقبل يافوخه، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله<sup>(3)</sup>.

وفي رواية البخاري: (فانطلقت به خديجة [أي النبي ﷺ] حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان

(1) انظر ترجمته: السيرة النبوية (1-2/191-222)، وله شعر جيد. والإصابة في تمييز الصحابة (597/3).

(2) انظر أسماءهم: السيرة النبوية (1-2/223).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-2/238).

يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي. فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال النبي ﷺ: أومُخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي<sup>(1)</sup>.

وقد اختلف في شأن ورقة بن نوفل، هل هو صحابي أم لا<sup>(2)</sup>؟ ولكن من مجمل الروايات يمكن الاستنتاج أن ورقة قد صدق النبي ﷺ فيما جاء به، وتمنى لو أنه تمتد به الحياة ليكون مؤزرًا وناصرًا للنبي ﷺ في دعوته، إلا أنه توفي قبل أن يجهر الرسول ﷺ بها.

وقد وردت عدة أحاديث عن فضل ورقة بن نوفل، ومقامه عند الله تعالى في الدار الآخرة، من ذلك قول النبي ﷺ: «أريته في المنام [يعني ورقة]، وعليه ثياب بياض، ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك»<sup>(3)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له جنة أو جنتين»<sup>(4)</sup>.

إن هذا اللقاء الأول بين النبي ﷺ وأحد رجال الدين من أهل الكتاب ذو دلالة خاصة جداً، وهي أن هذا الإنسان العالم بالكتب السماوية السابقة، كان المصدق الأول لرسالة النبي ﷺ، وكان المهديء الأول لروح النبي الكريم، والموضح لحقيقة الوحي الذي نزل عليه ﷺ ثم صدق بالنبي الكريم ﷺ ودعاه إلى الثبات على ماجاءه من الحق، وتمنى أن يعيش طويلاً ليناصر الرسول الكريم ﷺ وتنبأ له بمحاربة قريش إياه، وبإخراجهم له من بين أظهرهم.

(1) رواه البخاري في صحيحه (7/1).

(2) انظر: الإصابة (598/3).

(3) أخرجه الترمذي (540/4).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک (609/2).

ولعل الله تعالى قد جعل ورقة بن نوفل الأنموذج الأول لكل المسيحيين ليقتدوا به، ويسيروا على نهجه، حيث إنه - أي ورقة - لم يكتسب العلم الذي عنده، ولم يستكبر على دعوة النبي ﷺ ولم تأنف نفسه وهو الشيخ الهرم من التصديق والإيمان بنبي، هو بالنسبة إليه في مثل سن أولاده، بل صدق بالرسول ﷺ، وآمن به وأكد له أن الله تعالى قد أرسل إليه وحيه بواسطة الملك جبريل - عليه السلام - كما أرسله سابقاً إلى موسى - عليه السلام - .

في هذه الصورة الأولى للقاء النبي ﷺ مع المسيحيين لم يكن أي حوار، سوى سؤال وجواب حول الوحي الذي أتى النبي ﷺ ولم يكن عند النبي أي علم به، فكان ورقة الشارح لحقيقته، والموضح لهده.

### ثانياً: لقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران:

قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، وكان ذلك في السنة السابعة للبعثة تقريباً حين بلغهم خبره، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة النبي ﷺ عما أرادوا، دعاهم الرسول إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه، فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبتكم الله من ركب ا بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحق منكم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لا نجاهلكم، لنا ما نحن فيه، ولكم ما أنتم فيه، لم نأل أنفسنا خيراً<sup>(1)</sup>.

فأنزل الله تعالى فيهم قوله<sup>(2)</sup>: ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبَ مِنْ قَبْلِهِ، هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا

(1) انظر: السيرة النبوية (1-292/2). وهداية الحيارى (ص33).

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن (13/296). وتفسير القرآن العظيم (3/394).

يُنَلِّعُ عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَقِّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِي الْجَهَنَّمَ ﴿٥٨﴾ (1) [الفصص: 52-55].

ثالثاً: لقاء النبي ﷺ مع العبد النصراني عدّاس (2):

كان ذلك اللقاء عقيب خروج النبي ﷺ من الطائف ورفض أهلها الإيمان، وقد آذوه وأذموه، فأوى إلى بستان لعبنة وشيبة ابني ربيعة، فأعطوا عبداً نصرانياً لهم اسمه عدّاس عبداً ليقدمه للرسول ﷺ فأقبل إليه ووضع بين يديه، فمدّ الرسول الكريم ﷺ يده، وقال: بسم الله. ثم أكل، فنظر عدّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد: فقال له الرسول ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس، وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من نينوى. فقال له الرسول ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال الرسول: ذاك أخي، وكان نبياً وأنا نبي. فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه، وأسلم على يدي الرسول ﷺ، فلما عاد إلى ابني ربيعة، قال له: ويلك يا عدّاس! مالك تُقبل هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: ياسيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي (3).

رابعاً: لقاء النبي ﷺ مع الجارود بن عمرو:

وهو من بني عبد القيس، وكان ذلك اللقاء في عام الوفود في السنة السادسة للهجرة، وكان زعيماً لقومه يعتنق النصرانية، فعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، ورجبه فيه، فقال الجارود: إن لي ديناً فلي إن تركت ديني، ودخلت في

(1) وانظر سبب النزول: جامع البيان (56/20).

(2) انظر ترجمته: الإصابة (459/2). والمغازي للواقدي (33-35).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-421/2). وتاريخ الرسل والملوك (554/1).

دينك ألا يعذبني الله؟ فقال الرسول ﷺ: نعم. فأسلم، وحسن إسلامه، وفرح به الرسول ﷺ وأذناه<sup>(1)</sup>.

خامساً: لقاء النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران:

وكان ذلك اللقاء في عام الوفود في المدينة المنورة، ولأهمية هذا اللقاء لا بد من ذكر حواده كاملة:

كان مقدم هذا الوفد إلى المدينة إثر الكتاب الذي وجهه الرسول ﷺ إلى نصارى نجران، يدعوهم فيه إلى الإسلام، وسيأتي - إن شاء الله - في مبحث الرسائل النبوية. وقد تألف الوفد من ستين راكباً، منهم أربعة عشر رجلاً من أشرفهم، ويؤول أمرهم جميعاً إلى ثلاثة هم: العاقب واسمه عبد المسيح، وكان صاحب أمرهم ومشورتهم.

والثاني الأيهم السيد، وكان صاحب رحلهم. والثالث أبو حارثة بن علقمة، وكان أسقفهم وحبرهم وصاحب مدارسهم. وكانت له منزلة عند الروم، فقد درس كتب النصرانية حتى صار عَلماً بها، فأكرمه ملوك الروم، وشرفوه، وأرسلوا له بالمال والهدايا، وبنوا له الكنائس.

ويروى أن أبا حارثة كان يعظم النبي ﷺ ظاهراً وباطناً، فقد كان إلى جانبه في أثناء سفره إلى المدينة أخ له اسمه كُوز بن علقمة<sup>(2)</sup>، فعثرت دابة أبي حارثة، فقال له كوز: تعس الأبعد. - يريد رسول الله ﷺ، فقال أبو حارثة: بل أنت تعست! قال: لِمَ يا أخي؟ قال: والله، إنه للنبي الذي كنا ننتظر. فقال له كوز: وما يمنعك منه، وأنت تعلم هذا؟ قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا، ومولونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى. فأضمرها كوز في نفسه حتى أسلم، فكان يحدث بهذا الحديث<sup>(3)</sup>.

(1) انظر: السيرة النبوية (3-575/4). والإصابة (1/213). وتاريخ الرسل (2/199).

(2) اسمه عند ابن سعد في الطبقات (كُوز بن علقمة)، انظر: الطبقات (1/357).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-574/2).

ثم نزل الوفد في مسجد النبي ﷺ فلما حان وقت صلاتهم قاموا متوجهين إلى الشرق، ليصلوا صلاتهم، فقام الصحابة لمنعهم، فنهاهم الرسول ﷺ وتركهم يصلون في طمأنينة<sup>(1)</sup>.

واجتمع أخبار اليهود مع زعماء الوفد المسيحي في المسجد، وتجادلوا بينهم، فقال رافع بن حرملة اليهودي: ما أنتم على شيء. وكفر بعيسى والإنجيل. فرد عليه رجل من النصارى: ما أنتم على شيء. ووجد نبوة موسى، وكفر بالتوراة.

فنزل قول الله تعالى<sup>(2)</sup>: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَانِيَّةُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَانِيَّةُ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: 113].

ثم تجادلوا أيضاً في شأن إبراهيم - عليه السلام - فقال الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فنزل قول الله تعالى<sup>(3)</sup>: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَمْ تَقُولُونَ ﴿ إِنَّا لَنُؤْتِيهِمْ مِنْهَا آيَاتٍ مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ هَٰؤُلَاءِ حَنَجِبْتُ عَنْهَا لَكُمْ بِرُءُوسِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ حَنِيفًا مَّسْلَمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: 65-67].

ثم توجهوا إلى النبي ﷺ وادّعوا عليه قولهم - على لسان أحد أبحارهم - وهو أبو رافع القرظي: «أتريد منا يا محمد، أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟». فقال رجل من أهل نجران، واسمه الربيس: «أوذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعوننا؟». فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله، أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، فما بعثني بذلك الله، ولا أمرني»<sup>(4)</sup>.

فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُضَيِّقَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالشُّبُهَةَ ثُمَّ يَقُولُ

(1) انظر: المرجع السابق (1-574/2).

(2) انظر: المرجع السابق (1-549/2). وانظر: لباب النقول (ص24).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-553/2). ولباب النقول (ص56).

(4) انظر: السيرة النبوية (1-554/2) ولباب النقول (ص58).

لِلنَّاسِ كُفُونًا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَةَ وَالنِّسَاءَ أَرْبَابًا أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

[آل عمران: 79-80].

وبدأ الوفد المسيحي بمجادلة النبي ﷺ حول شخصية المسيح عيسى - عليه السلام - فقالوا: هو الله؟ - سبحانه وتعالى -، وقالوا: هو ابن الله؟ - سبحانه وتعالى -، وقالوا: ثالث ثلاثة. فتوجه النبي ﷺ بحديثه إلى حبرين منهما بقوله: أسلما؟ قال: أسلما؛ قال: إنكما لم تسلما، فأسلما؛ قال: بلى، قد أسلما قبلك؛ قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير. قال: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ﷺ فلم يجبهما<sup>(1)</sup> ولم يجادلهم الرسول لأنه علم أنهم معاندون لا يريدون الحق.

ونزلت في هذا الحوار سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها<sup>(2)</sup>. وكان ضمن هذه الآيات آية المُباهلة، وهي قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦١﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَمَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٢﴾ [آل عمران: 60-61].

ولما يش النبي ﷺ من إسلامهم، دعاهم إلى المُباهلة - وهي الملاعنة -، فقالوا: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. فانصرفوا عنه، ثم خلّوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله، يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خير صاحبكم [أي المسيح]، ولقد علمتم ما لأعَن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلفَ دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ، ثم انصرفوا إلى بلادكم<sup>(3)</sup>. فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن

(1) انظر: السيرة النبوية (1-575/2) وما بعدها.  
(2) انظر: لباب القول (ص53). وتفسير القرآن العظيم (1/343). والجامع لأحكام القرآن (4/4).  
(3) انظر: السيرة النبوية (1-583/2).

لا نلاعنك، وأن نتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رِضاً<sup>(1)</sup> فصالحوا النبي ﷺ، وكتب لهم عهداً وأماناً على أنفسهم وأرضهم وأموالهم ودينهم، وأشهد على ذلك شهوداً<sup>(2)</sup>. ثم رجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما، وأنزلهما في دار أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -<sup>(3)</sup>.

سادساً: لقاء النبي ﷺ مع عدي بن حاتم الطائي<sup>(4)</sup>:

كان عدي بن حاتم ملكاً على قومه، يدين بالنصرانية، ويسير بأخذ المرباع<sup>(5)</sup> في قومه، وهرب بأهله عندما وصلت جيوش النبي ﷺ إلى طيء، وخلف أختاً له فأسرت، فلما قدموا بها المدينة، منَّ عليها رسول الله ﷺ بالإعتاق، ووصلها بنفقة، فأتت أخاها في الشام، فنصحته بالقدوم على الرسول ﷺ، وكان عدي يقول: «مامن رجل من العرب أشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني»<sup>(6)</sup>.

فخرج عدي حتى قدم مسجد النبي ﷺ فدخله وسلَّم عليه، فقال الرسول ﷺ من الرجل؟ فقلت عدي بن حاتم فقام ﷺ فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها؛ فقلت في نفسي: والله ما هذا بملك! ثم مضى بي إلى بيته، حتى إذا دخله، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً، فقذفها إليّ، وقال: اجلس على هذه؛ قلت: بل أنت فاجلس عليها؛ فقال: بل أنت. فجلست عليها، وجلس رسول الله ﷺ على الأرض؛ فقلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

(1) انظر: المرجع السابق (1-584/2).

(2) انظر: نص العهد في التمهيد من هذا البحث (ص 31-34).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (1/358).

(4) انظر ترجمته: الإصابة (2/460).

(5) المرباع: أخذ الربع من الغنيمة. انظر: القاموس المحيط (3/25).

(6) السيرة النبوية (587/3-4).

ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم الطائي، أسلم تسلم. فقلت: إني على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك، ألم تك رَكُوسياً؟ [طائفة مسيحية كان أصلها بالشام قريين من الصابئة] قلت: بلى. قال: أولم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قلت: بلى. قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؛ قلت: أجل والله. وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يُجهل؛ ثم قال الرسول ﷺ: لملك يا عدي، إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن أن يفيض المال فيهم حتى لا يوجد من يأخذه؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوهم، وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف؛ ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله، ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت لهم. قال عدي: فأسلمت<sup>(1)</sup>.

وفي رواية الترمذي، أن عدي بن حاتم قدم على النبي ﷺ وجلس بين يديه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما يُفْرَكُ<sup>(2)</sup> أن تقول: لا إله إلا الله. فهل تعلم من إله سوى الله؟ قلت: لا. قال: ثم تكلم ساعة ثم قال: إنما تَفِرُّ أن تقول: الله أكبر؟. وتعلم أن شيئاً أكبر من الله؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصراني ضلال. قال: قلت: فإني جئت مسلماً، فرأيت وجهه تبسّط فرحاً<sup>(3)</sup>.

الدلالات التي يمكن استخلاصها من هذه اللقاءات:

(1) - كانت نتيجة تلك اللقاءات الستة إسلام الذين التقاهم النبي ﷺ، وعرض عليهم دعوته، إلا وفد نصراني نجران في المدينة المنورة، فلم يسلم منهم إلا بعض زعمائهم فقط.

(1) انظر: السيرة النبوية (3-4/580). والطبقات الكبرى لابن سعد (1/322).

(2) يُفْرَكُ: ما يحملك على الفرار. انظر: القاموس المحيط (2/109).

(3) رواه الترمذي في سننه (5/203).

- (2) - إن أول إنسان صدّق النبي ﷺ، وآمن به، هو أحد علماء أهل الكتاب المسيحيين، وهو ورقة بن نوفل.
- (3) - ظهور الأدب النبوي الرفيع في معاملة المسيحيين، وسعة حلمه، وذلك بسماع النبي ﷺ - للوفد المسيحي - نصارى نجران بالصلاة في مسجده الشريف.
- (4) - أثر أخلاق الرسول ﷺ في إيصال نور الإسلام، وجمال دعوته، إلى قلوب الآخرين. (تواضعه ﷺ الذي أثار عدي في لقاءه معه).
- (5) - التزام النبي ﷺ بمنهج القرآن الكريم، في كل ما يتعلق بالمسيحية.
- (6) - إعراض النبي ﷺ عن الدخول في الجدل العقيم، الذي خاض فيه اليهود والنصارى أمامه، بل إنه فضّل الصمت عندما وصل الحوار معهم إلى طريق مسدودة.
- (7) - الخوف على المكتسبات المادية، من مال وجاه وسلطان، غالباً ما يكون عقبة في وجه الحق، ويمنع الإنسان من الإذعان إليه. (قول أبي حارثة. من نجران: شرفونا، ومولونا، وأكرمونا).
- (8) - عند دخول الإيمان إلى القلوب لا يلتفت صاحبه إلى الاعتراضات الباطلة البعيدة عن العقل، مثل عدم التفات نصارى نجران في مكة، إلى اعتراضات أبي جهل عليهم، وكذلك عدم التفات عداس النصراني في الطائف إلى أسياده ابني ربيعة.
- (9) - الحذر من الانحراف في الحوارات عن المنهج الصحيح، وذلك بتوضيح النبي ﷺ للحقائق التي أراد أهل الكتاب أن يلبسوها عليه، وعلى دعوته، وذلك بجوابه على من قال له: أتريد منا يا محمد أن نعبدك... فقال ﷺ: معاذ الله...
- (10) - استخدام النبي ﷺ للأسلوب العقلي في حوارهِ مع المسيحيين، من ذلك قوله لعدي: هل تعلم من إله سوى الله؟. وقوله: وتعلم شيئاً أكبر من الله؟.
- (11) - استخدام النبي ﷺ لأسلوب الترغيب، للدخول في الإسلام، كترغيبه لعدي بأن الله تعالى سينصر الإسلام، ويعزّ المسلمين.

## المطلب الثاني

### اللقاءات بين الصحابة الكرام والمسيحيين

#### بناء على توجيهات النبي ﷺ، ودلالاتها

لقاء الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة مع ملكها ودلالاته:

كان هذا اللقاء ضمن توجيهات النبي ﷺ حيث أمر المسلمين المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، لأجل التخلص من شدة العذاب الذي كانت قريش تصبه على المسلمين، وكان ذلك الأمر في السنة الخامسة للبعثة، بقوله ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلمَ عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه»<sup>(1)</sup>.

ولابد من ذكر هذه الهجرة بتفاصيلها لما لها من دلالات كثيرة، ومؤثرة في قضية الحوار الإسلامي المسيحي.

كانت الهجرة إلى الحبشة على قسمين: الهجرة الأولى، وكانت في شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة، حيث كان أميرها عثمان بن مظعون - رضي الله عنه - وكان عدد المهاجرين أحد عشر رجلاً، وأربع نسوة، فمكثوا في الحبشة حتى شهر شوال من نفس السنة<sup>(2)</sup>.

وأما الهجرة الثانية فكان قوامها ثلاثة وثمانين رجلاً، بالإضافة إلى النساء والأبناء<sup>(3)</sup>، وكان أميرها جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه -<sup>(4)</sup>.

وأرسلت قريش إلى النجاشي ملك الحبشة<sup>(5)</sup>، رجلين بهدايا له ولبطارفته، ليرد

(1) السيرة النبوية (1-322/2).

(2) انظر: الكامل في التاريخ (52/2).

(3) انظر: السيرة النبوية (1-330/2). وانظر الكامل في التاريخ (53/2).

(4) المرجع السابق.

(5) انظر ترجمته: الإصابة (117/1).

عليهم من خرج من قومهم من المسلمين، وهما عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص<sup>(1)</sup>، فلما وصلا دفعا بالهدايا إلى البطارقة، ثم إلى النجاشي، وكان الحوار التالي:

«قال رسولاً قريش: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا أشراف قومنا من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم، لتردّهم إليهم، فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه». تقول أم سلمة - رضي الله عنها - التي روت الحديث: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، من أن يسمع كلامهم النجاشي.

وغضب النجاشي، وقال: «لا هالله، إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذا في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني»<sup>(2)</sup>.

ثم دعا النجاشي المسلمين إليه، وجلس حوله أساقفته، ونشروا مصاحفهم [أناجيلهم]، ثم قال: «ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من الملل؟». فتكلم جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقال: «أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلية الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

(1) السيرة النبوية (1-332/2).

(2) السيرة النبوية (1-335/2).

فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرمتنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلّ لنا، فعدنا علينا قومنا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك، أيها الملك»<sup>(1)</sup>. فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ. فقرأ عليه جعفر صدرأ من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون»<sup>(2)</sup>.

وقد أنزل الله تعالى في هذه الواقعة قوله الكريم<sup>(3)</sup>: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهِبْنَا وَانْتَهَمُوا لَاسْتَكْبَرُوا ﴿٨٧﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَاكَمَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [المائدة: 82-83].

ولم يتراجع وفد قريش، بل أعاد الكرة، فقال عمرو: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسألهم عما يقولون فيه.

فأرسل إليهم النجاشي، فسألهم عن قولهم في عيسى ابن مريم - عليه السلام - فقال جعفر: «نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول». فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود. ثم قال: اذهبوا فأنتم شيومٌ بأرضي [والشيوم: الآمنون] من سبكم غم، من سبكم

(1) المرجع السابق (1-336/2).

(2) المرجع السابق (1-336/2).

(3) انظر: لباب النقول (ص110).

غرم، من سبكم غرم؛ ما أحب أن لي دَبْرًا [جبلًا] من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم، رُدُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بهما<sup>(1)</sup>.

ومكث المسلمون في حماية النجاشي حتى السنة السابعة للهجرة، فرجعوا إلى المدينة بعد فتح خيبر<sup>(2)</sup>.

وقد كان بين النجاشي وبنو النبي ﷺ في تلك الفترة مراسلة، وهدايا.

رُوي عن عائشة - رضي الله عنها - أن النجاشي أهدى إلى النبي ﷺ حلية فيها خاتم من ذهب، فأخذه، وإنه لمعرض عنه، فأرسل به إلى ابنة ابنته زينب، وقال: «تحلّي بهذا يابنة»<sup>(3)</sup>.

وروي عن عمر بن سعد - رضي الله عنه - أن النجاشي بعث إلى النبي ﷺ ثلاث عَنَزَات [العَنَزَة: عصا في قدر رمح]<sup>(4)</sup>، فأمسك النبي ﷺ لنفسه واحدة، وأعطى علياً واحدة، وعمر واحدة، فكان بلال يمشي بتلك العَنَزَة التي أمسكها النبي ﷺ لنفسه، بين يديه في العيدين، حتى يأتي المصلّي فيَرَكُزُهَا بين يديه، فيصلّي إليها<sup>(5)</sup>.

وقد بادل النبي ﷺ النجاشي بمثل تلك الهدايا؛ روت أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال لي النبي ﷺ: «إني قد أهديت إلى النجاشي أواقِي من مسك وحلّة، وإني لا أراه إلا قد مات، ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا ستردّ إليّ، فإن رُدّت إليّ فهي لك. قالت: فكان كما قال النبي ﷺ، مات النجاشي، وردّت إليه هديته، فأعطى كل امرأة من نساؤه أوقية من مسك، وأعطى سائره أم سلمة، وأعطاهَا الحُلَّة»<sup>(6)</sup>.

وقد أرسل النبي ﷺ مع سفيره إلى النجاشي، عمرو بن أمية رسالتين، الأولى: تتعلق بدعوته إلى الإسلام، - وستأتي في مبحث الرسائل -، والثانية: فيها توكيل

(1) السيرة النبوية (1-350/2).

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق (1-359/2).

(4) انظر لسان العرب (9/424).

(5) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (3/236).

(6) انظر: المرجع السابق (8/95).

النبي ﷺ للنجاشي ليزوجه أم حبيبة - رضي الله عنها -، وهي رملة بنت أبي سفيان، التي مات عنها زوجها في الحبشة، فأرسل النجاشي جارية له اسمها أبرهة بالخير، فأوكلت أم حبيبة خالد بن سعيد بن العاص، فاجتمع المسلمون عند النجاشي، فقام فيهم خطيباً، فقال: «الحمد لله الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم، أما بعد: فإن رسول الله كتب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا رسول الله، وقد أصدقتها أربعمائة دينار». ثم سكب الدنانير أمامهم، وأجابته خالد بن سعيد بن العاص، ثم دعا بطعام فأكلوا ثم تفرقوا، فأرسلت أم حبيبة إلى أبرهة لتكافئها بما بشرت به، فأبت أن تأخذ شيئاً، ولكنها طلبت من أم حبيبة أن تبلغ رسول الله ﷺ أنها قد أسلمت، وأن تقرئه السلام منها؛ فأخبرت أم حبيبة رسول الله ﷺ حينما قدمت عليه بإسلامها وسلامها، فتبسم رسول الله ﷺ وردّ قائلاً: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»<sup>(1)</sup>.

ومن المواقف الإيجابية التي تذكر للنجاشي أيضاً هذه الحادثة:

روى ابن إسحق: أن عمرو بن العاص أقام عند النجاشي بعد غزوة الخندق، هو وجماعة من قريش، وكان يومها على الشرك، فلما قدم رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، دخل عمرو بن العاص على النجاشي، وقدم له جلدأ كثيراً هدية له، ثم قال له: أيها الملك، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك، هو رسول رجل عدو لنا، فأعطينه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب [أي النجاشي]. فمد يده فضرب أنف ابن العاص، حتى ظن أنه قد كسره، فتمنى ابن العاص لو تنشق الأرض عليه لينجو من غضب النجاشي، ثم قال: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، لتقتله!

قال عمرو: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه

(1) انظر: المرجع السابق (98/8).

والله لَعَلَى الْحَقِّ، وليظهرنَّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده<sup>(1)</sup>.

وقد كان من إكرام النبي ﷺ للنجاشي، أنه عندما قدم وفده إلى المدينة المنورة، قام النبي ﷺ يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله. فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم»<sup>(2)</sup>.

ثم كانت آخر صلة وصل بها النبي ﷺ النجاشي هي إخباره الصحابة بوفاة النجاشي، وذلك بقوله ﷺ: «إن أخاكم النجاشي قد مات فاستغفروا له»<sup>(3)</sup>.

ثم خرج ﷺ بالمسلمين إلى المصلى فصف بهم، وكبر عليه أربع تكبيرات<sup>(4)</sup>، وكان ذلك في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة<sup>(5)</sup>.

### الدلالات التي يمكن استخلاصها من الأحداث السابقة:

(1) - إن طلب النبي ﷺ لحماية أصحابه من ظلم قريش من ملك مسيحي في عصره، يدل على أن هناك رابطة خاصة بين الإسلام والمسيحية، وعلاقة متميزة بين المسلمين والمسيحيين.

(2) - اعتماد جعفر بن أبي طالب على المنطق العلمي المقارن في حوارهِ مع النجاشي، إذ عرض له صورتين متباينتين، الأولى صورة الجاهلية، وما فيها من آثام وظلم، والثانية صورة الإسلام، بما فيه من عدل وأخلاق.

(3) - عدم استخدام جعفر للعبارات السيئة، كتلك التي استخدمها وفد قريش، في حوارهم مع النجاشي، حيث وصفوا المسلمين بأنهم من سفهاء قريش.

(4) - اعتماد جعفر على القرآن الكريم في عرضه للمسيحية التي وصفها الإسلام، وذلك بتلاوته صدر سورة مريم.

(1) انظر: السيرة النبوية (3-277/4).

(2) رواه البيهقي عن أبي أمامة، انظر: سيدنا محمد رسول الله (ص161).

(3) رواه أحمد (241/2).

(4) رواه البخاري (230/1).

(5) انظر: السيرة النبوية (1-341/2).

(5) - يعتبر النجاشي من أولئك الفئة القليلة التي كان القرآن الكريم يستثنيها دائماً من أهل الكتاب، حيث لم يكتف الحق الذي عنده، وذلك بقوله: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

## المبحث الثاني

### الرسائل المتبادلة بين النبي والمسيحيين ودلائلها

بدأ الرسول ﷺ بمراسلة الملوك والأمراء بعد صلح الحديبية، في السنة السادسة للهجرة<sup>(1)</sup>.

وكان الرسول الكريم ﷺ قد أرسل أكثر من خمسين رسالة، يدعو فيها الملوك إلى الإسلام، ويرغبهم فيه، وكتب أيضاً إلى الملوك والأمراء الذين أسلموا، فأقرهم على ما تحت أيديهم، ووضح لهم كثيراً من أمور الإسلام.

وقد أرسل الرسول ﷺ إلى كل الملوك والأمراء المسيحيين الذين كانوا حوله داخل وخارج شبه الجزيرة، فمنهم من أجاب إلى الإسلام، واتبع الحق، ومنهم من رد رداً جميلاً ولم يسلم، ومنهم من رد رداً قبيحاً.

وفيما يلي نصوص هذه الرسائل:

#### (1) - رسالة النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة:

وكان حامل الرسالة عمرو بن أمية الضمري، والتي جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلّم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، حملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني فإني

(1) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (258/1). والسيرة النبوية (3-606/4).

رسول الله إليك، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى<sup>(1)</sup>.

وبعد أن قرأ النجاشي الرسالة، جرى بينه وبين حاملها عمرو الضمري الحوار التالي: - وكانت بينهما صلة قديمة -، فقال عمرو: يا أوصحة، إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنناه، ولم نخفك على شيء إلا أمتناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، والإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يُردّ، وقاض لا يجور، وفي ذلك الموقع الحزّ [أنت بمكانة الشرف]. وإصابة المفصل، وإلا فأت من هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرّق رسول الله ﷺ رسله في الناس، فرجاء لما لم يرجهم، وأمّنك على ما خافهم عليه، بخير سالف وأجر منتظر<sup>(2)</sup>.

ويجيب النجاشي: أشهد أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وأن بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس أشفى من الخبر<sup>(3)</sup>.

ثم نزل عن سريره، وجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتية لأتيته<sup>(4)</sup>. ثم كتب بإسلامه إلى النبي ﷺ الكتاب التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أوصحة، سلام عليك يا نبي الله من الله، وبركات الله، الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فلقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تُفَرُّوقاً<sup>(5)</sup>، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا، وقد قرّبنا ابن

(1) هداية الحيارى (ص42). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (131/2). وانظر المستدرک علی الصحیحین (623/2).

(2) انظر: هداية الحيارى (ص42). والسيرة النبوية (3-277/4).

(3) انظر: هداية الحيارى (ص42). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (132/2).

(4) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (259/1).

(5) التفروق: علامة بين النواة والتمرة. انظر: المُخَصَّص (129/2).

عمك [يعني جعفرًا]، وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»<sup>(1)</sup>.

ثم كتم النجاشي إسلامه وإسلام أهل بيته، إلا أن أهل الحبشة خرجوا عليه، فكلّمهم بما يحبون فرجعوا إلى طاعته<sup>(2)</sup>.

وكان النجاشي يدفع كل عام جزية محددة لهرقل، ولكنه بعد إسلامه رفض دفع أي شيء له، وقال: لا والله، لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته. فبلغ ذلك هرقل، فقال له أخوه نِيق: أتدع عبدك لا يُخرج لك خَراجاً، ويدين ديناً محدثاً؟! ...

فقال هرقل: رجل رغب في دين اختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضنُّ بملكي لصنعت كما صنع<sup>(3)</sup>.

## (2) - رسالة النبي ﷺ إلى هرقل قيصر الروم:

وكان حامل الرسالة دحية بن خليفة الكلبي، وكان هرقل قد استقدم ركباً من العرب فيهم أبو سفيان بن حرب، يسألهم عن النبي ﷺ في حوار طويل بينهما، ثم قال هرقل لأبي سفيان في نهاية الحوار: إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه<sup>(4)</sup>.

ثم دعا بكتاب رسول ﷺ فقرأ عليه، فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم،

(1) هداية الحيارى (ص42).

(2) انظر القصة كاملة: السيرة النبوية (1-341/2).

(3) انظر: هداية الحيارى (ص45).

(4) انظر نص الحوار: صحيح البخاري (8/1).

يؤتلك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين، ويا أهل الكتاب، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون»<sup>(1)</sup>.

وكان هرقل رجلاً عالماً بالكتب والنجوم، وقد عرف أنه اقترب زمان ظهور النبي الذي بشرت به كتبهم، ولما سأل أبا سفيان عنه، واستوثق خبره، علم أنه النبي المنتظر، وعزم على أن يسلم، ولكن من حوله رفضوا ذلك، حين جمعهم هرقل في صومعة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم؟ فتبايعوا هذا النبي. فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من إيمانهم، قال: ردّوهم عليّ. ثم قال: إني قلت مقالتي آنفاً لأختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له، ورضوا عنه<sup>(2)</sup>، ثم دعا هرقل دحية وقال له: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكنني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته<sup>(3)</sup>.

وجاء في بعض الروايات أن هرقل أرسل رسالة جوابية إلى النبي ﷺ، جاء فيها: «إلى أحمد رسول الله، الذي بشر به عيسى، من قيصر ملك الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى ابن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددتُ أني عندك، فأخدمك، وأغسل قدميك»<sup>(4)</sup>.

وفي السنة التاسعة للهجرة، وعندما نزل الرسول ﷺ وجيشه في تبوك، أرسل إليه هرقل كتاباً مع رجل من قبيلة تنوخ، وأمره أن يختبر النبي ﷺ في ثلاث، الأولى: إذا

- (1) رواه البخاري في صحيحه (9/1). الأريسيين: هم العمال والفلاحون بلغة الروم. وقيل نسبة لآريوس الراهب الموحد.
- (2) انظر: المرجع السابق (10/1).
- (3) انظر الكامل في التاريخ (144/2).
- (4) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للمعهد النبوي (ص 111).

نظر في كتاب هرقل، هل يذكر أنه كتب شيئاً إليه سابقاً. والثانية: إذا قرأ الكتاب هل يذكر الليل. والثالثة: هل في ظهره شيء يُريب.

وقدم التنوخي على الرسول ﷺ فناوله الكتاب، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فكره مفارقة دين من أرسله، فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: 56]. ثم ذكر الرسول ﷺ أنه أرسل كتاباً إلى كسرى، وآخر إلى هرقل. فقال التنوخي: هذه واحدة. ولما قرأ الكتاب على رسول الله ﷺ، فإذا فيه: تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض، فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، فأين الليل إذا جاء النهار؟. فعلم التنوخي الثانية. ثم أهدى التنوخي حلة، وذهب به أحد الأنصار ليضيفه، فناداه الرسول ﷺ، والقي رداءه عن كتفه، فنظر فيه التنوخي فوجد خاتم النبوة، فعلم الثالثة<sup>(1)</sup>.

### (3) - رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس ملك القبط في مصر:

واسم المقوقس جُريج بن مينا، وكان حامل الرسالة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، وجاء في الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط<sup>(2)</sup>». ﴿... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَوَأَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

ولما وصل حاطب إلى المقوقس، ودفع إليه الرسالة، جرى بينهما الحوار التالي: قال المقوقس: هلمّ أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبي؟ قلتُ [أي حاطب]: بلى هو رسول الله. قال: فماله حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث

(1) رواه أحمد في مسنده (74/4).

(2) انظر: هداية الحباري (ص43).

أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال حاطب: عيسى ابن مريم، ألسنت تشهد أنه رسول الله؟ قال: بلى. قلت: فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم. فقال المقوقس: أنت حكيم جاء من عند حكيم. ثم قال حاطب: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَيْزَةِ وَالْأُولَى﴾ [النازعات: 25]. فانتقم به ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك غيرك. قال المقوقس: إن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه. قال حاطب: ندعوك إلى الإسلام، الكافي به الله فقدّ ما سواه، إن هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به. فقال المقوقس: إني قد نظرت في أمر هذا النبي، فرأيت لا يأمر بمزهود به، ولا ينهى عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضالّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة، من إخراج الخبء [الأشياء المستورة]، والإخبار بالنجوى. ثم صار يصف لحاطب أشياء من صفة النبي ﷺ ثم قال: القبط لا يطاوعونني في اتباعه، ولا أحب أن تعلم بمحاورتي إياك، وأنا أضن بملكي أن أفارقه، وسيظهر على بلادي، وينزل بساحتي هذه أصحابه من بعده، فارجع إلى صاحبك. ثم كتب إلى النبي ﷺ الجواب التالي: «بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط، ويكسوة، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك»<sup>(1)</sup>.

والجاريتان هما: مارية وسيرين: وقد تزوج النبي ﷺ مارية بعد إسلامها، فولدت له إبراهيم<sup>(2)</sup>.

(1) هداية الحيارى (ص44). وانظر الطبقات الكبرى لابن سعد (260/1).

(2) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (260/1).

#### (4) - رسالة النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شمر الغساني :

وكان حامل الرسالة الصحابي شجاع بن وهب الأسدي، وكان الحارث نصرانياً، يتبع هرقل، فأعطاه الكتاب، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، ويبقى لك ملكك»<sup>(1)</sup>.

فقرأه الحارث، وقال: «من ينتزع مني ملكي؟! أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جثته، عليّ بالناس». فلم يزل يعرض الخيل حتى الليل، ثم قال: أخبر صاحبك ما ترى. وكتب إلى هرقل بالخبر، فنهاه عن الخروج حتى يصل إلى القدس، فما كان منه إلا أن استدعى شجاعاً، وأمر له بمئة مثقال ذهباً.

وكان للحارث الغساني خادم رومي نصراني، اسمه مُري، صار يكرم شجاع بن وهب، ويسأله عن صفة رسول الله ﷺ، فيرقّ حتى يغلبه البكاء، ويقول: إني قد قرأت في الإنجيل فأجد صفة هذا النبي بعينه، فأنا أو من به وأصدق، وأخاف من الحارث أن يقتلني. ولما أراد شجاع العودة، أهداه مري نفقة وكسوة، وقال له: أفرى رسول الله مني السلام، وأخبره أني مُتبع دينه. فلما قدم شجاع على الرسول ﷺ وأخبره خبره وسلامه، قال الرسول الكريم ﷺ: «صدق»<sup>(2)</sup>.

#### (5) - رسالة النبي ﷺ إلى ملك عُمان :

وكان حامل الرسالة عمرو بن العاص، وكان المُلْك فيهم إلى أخوين هما: جَيْفَر وَعَبْد، ابنا الجَلْندي، والأمر لجَيْفَر الأكبر، وكانوا نصارى، وقد جاء في الرسالة: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى جيفر وعبد ابني

(1) هداية الحيارى (ص46).

(2) انظر: الطبقات الكبرى (261/1).

الجَلْنُدي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أدعوكمَا بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فأني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما مكانكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»<sup>(1)</sup>.

وكان عمرو قد قدّم الكتاب أولاً إلى الأمير الأصغر، وهو عبد بن الجَلْنُدي، ووجد فيه رقة وحلماً، وحذّته عن الإسلام وتعاليمه وهديه، فسُرَّ بذلك عبد، وكان من الحوار بينهما أن سأل عبدُ عمراً: ما الذي يأمر به، وينهى عنه؟ قال عمرو: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم؛ وينهى عن الظلم والعدوان، وعن شرب الخمر والزنا، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب. فقال عبد: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن أخي أضنّ بملكه من أن يدعه ويصير ديناً. فقال عمرو: إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردّها على فقيرهم. قال عبد: إن هذا لخلق حسن. ثم سأل عبد عمراً عن إسلامه، فأجابه بأنه قد أسلم عند النجاشي<sup>(2)</sup>. وأن النجاشي قد أسلم أيضاً، وقد رفض أن يعطي الجزية لهرقل.

ثم التقى عمرو جيفراً، وأعطاه الكتاب، فأبى أن يسلم أولاً، ثم كلمه أخوه الأصغر عبد، فأسلما، وأسلم معهما خلق كثير من قومهم<sup>(3)</sup>.

## (6) - رسالة النبي ﷺ إلى هُوذة بن علي الحنفي :

وكان هُوذة ملكاً على اليمامة يدين بالنصرانية، وكان حامل الرسالة الصحابي سليط بن عمرو العامري، جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى هُوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر

(1) هداية الحيارى (ص44). والطبقات الكبرى لابن سعد (262/1).

(2) انظر: السيرة النبوية (3-277/4).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (263/1). وهداية الحيارى (ص45). والإصابة (265/1).

إلى منتهى الخف والحافر، فأسلم تسلم، أجعل لك ما تحت يدك»<sup>(1)</sup>.

وكان عند هوزة أركون الشام<sup>(2)</sup>، فسأله عن النبي ﷺ وقال: قد جاءني كتابه يدعوني إلى الإسلام. فقال الأركون: لِمَ لا تجيبه؟ فقال هوزة: ضننت بديني، وأنا ملك قومي، إن اتبعته لم أملك.

فقال الأركون: بلى والله، لئن اتبعته ليملكنك، وإن الخيرة لك في اتباعه، وإنه للنبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم، والله إنه لمكتوب عندنا في الإنجيل.

ولكن هوزة رفض الإسلام، ثم كتب إلى النبي ﷺ رسالة جاء فيها: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعك»<sup>(3)</sup>.

وأرسل وفداً إلى النبي ﷺ في ذلك، وأمر لسليط بن عمرو بجائزة، وكساه أثواباً من نسيج هَجْر.

ورفض الرسول ﷺ إجابته إلى ما طلب، ومات هوزة بعد الفتح.

#### (7) - رسالة النبي ﷺ إلى أسقف نجران أبي الحارث:

جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، بسم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله، إلى أسقف نجران وأهل نجران، إني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله، من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام»<sup>(4)</sup>.

فلما قرأه الأسقف خاف، وذُعر ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من عُمان اسمه

(1) هداية الحيارى (ص46).

(2) الأركون: هو العظيم القدر من رجال المسيحية. انظر: الرد على النصارى للجعفري (ص125).

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد (262/1). وانظر: الكامل في التاريخ (146/2).

(4) هداية الحيارى (ص54).

شرحبيل بن وداعة، وكان من همدان، يستشير، فلما قرأ الكتاب، قال له الأسقف: مارأيك يا أبا مريم؟ فأجاب شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما نأمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأي، وجهدت لك.

ثم استشار الأسقف كلاً من: عبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض. فقالوا مقالة شرحبيل، فضربت النواقيس، وزُفعت المسوح [أعلام الكنيسة]، فاجتمع أهل الوادي، وفيه ثلاث وسبعون قرية، ومئة وعشرون ألف مقاتل، فقرأ عليهم الكتاب، وسألهم الرأي، فاجتمع أهل الرأي منهم على أن يرسلوا إلى النبي ﷺ وفداً لمعرفة خبره<sup>(1)</sup>، ثم كانت النتيجة أن كتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم عهداً، كان مما جاء فيه: «... ولنجران وحاشيتهم جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله، على أنفسهم، وملّتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، ويبيعتهم، وصلواتهم، لا يُغيروا أسقفاً عن أسقفيتيه، ولا راهباً عن رهبانتيه»<sup>(2)</sup>.

(8) - رسالة النبي ﷺ إلى جبلة بن الأيهم الغساني:

وكان حامل الرسالة شجاع بن وهب الأسدي، دعا فيها النبي ﷺ جبلة إلى الإسلام، فأسلم، وكتب بإسلامه إلى رسول الله ﷺ، وأهدى له هدية. ولم يزل مسلماً حتى زمن الفاروق - رضي الله عنه - فارتد نصرانياً، ولحق بالروم لرفضه القصاص بضره رجلاً من مُرَيْتِه<sup>(3)</sup>.

(9) - رسالة النبي ﷺ إلى ضُغَاطِرِ الأُسُقُف:

وهو أسقف الروم في دمشق، وكان حامل الرسالة دحية بن خليفة الكلبي، جاء فيها: «إلى ضُغَاطِرِ الأُسُقُف، سلام على من آمن، أما على أثر ذلك: فإن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته، ألقاها إلى مريم الزكية، وإني أوْمَنُ بالله، وما أنزل إلينا،

(1) انظر: (ص 97) من هذا البحث، لقاء الوفد مع النبي ﷺ.

(2) الطبقات الكبرى، لابن سعد (288/1). والخراج لأبي يوسف (ص 78).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (265/1).

وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لانفراق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون، والسلام على من اتبع الهدى<sup>(1)</sup>.

ولما وصل دحية إلى هرقل، أرسله إلى ضُغاطِر، قائلاً: اذهب إلى ضُغاطِر الأسقف الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك، وانظر ما يقول لك. فجاءه دحية فأخبره الخبر، ودفع إليه الكتاب، فقال له ضُغاطِر: صاحبك والله نبي مرسل، نعرفه بصفته واسمه، ونجده في كتابنا.

ثم دخل فألقى ثوبه، ولبس ثياباً بيضاء، وخرج على الروم وهم في الكنيسة، فقال: يا معشر الروم، قد جاءنا كتاب أحمد، يدعوننا إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال دحية: فوثبوا إليه فقتلوه<sup>(2)</sup>.

#### (10) - رسالة النبي ﷺ إلى يُحَنَّة بن رُوْبَة ملك أيلة<sup>(3)</sup>:

وكان نصرانياً، يتبع الروم، وقد جاء في الرسالة: «سلم أنتم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، فإني لم أكن لأقاتلكم حتى أكتب إليكم، فأسلم، أو أعطِ الجزية، . . . فإني رسول الله بالحق، أو من بالله، وكتبه، ورسله، وبالمسيح ابن مريم، أنه كلمة الله، وإني أو من به أنه رسول الله<sup>(4)</sup>».

فقدِم يُحَنَّة بن رُوْبَة على النبي ﷺ بعد عودته من تبوك، وكان على يُحَنَّة صليب من ذهب، وهو معقود الناصية، فلما رأى رسول الله ﷺ كفر [أي خفض] وأوماً برأسه، فأوماً إليه رسول الله ﷺ أن: ارفع رأسك، وصالحه يومئذ، وكساه بردة يمنية، وأمر بإنزاله عند بلال<sup>(5)</sup>.

(1) المرجع السابق (276/1). وانظر: تاريخ الرسل والملوك (130/2). وانظر: سنن سعيد بن منصور (189/2).

(2) انظر: الكامل في التاريخ (144/2). والإصابة (208/2).

(3) لعل اسمه (يوحنا)، ولكن الرسم هكذا: (يحنة).

(4) الطبقات الكبرى لابن سعد (278/1).

(5) المرجع السابق (278/1).

ثم كتب الرسول ﷺ عهد الأمان له، جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله، ومحمد النبي رسول الله، ليحتمن بن ربيعة، وأهل أيلة، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر»<sup>(1)</sup>.

(11) - كتاب النبي ﷺ إلى أكيدر بن عبد الملك:

وكان الرسول ﷺ قد أرسل خالد بن الوليد في سرية إلى دومة الجندل، وأخبر خالداً أنه سيجد أكيدر يصيد البقر، فيأخذه أسيراً، فلما قدم به خالد على النبي ﷺ كان عليه جبة حرير وصليب ذهب، فعفا عنه الرسول ﷺ وكتب إليه عهداً بعد أن أسلم جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله، لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام، وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل»<sup>(2)</sup>.

(12) - رسالة النبي ﷺ إلى فزوة بن عمرو الجذامي:

وكان فزوة عاملاً للروم على منطقة معان، في أرض البلقاء [الأردن]، وقد كتب إلى النبي ﷺ رسالة فيها إسلامه، وتصديقه بالرسول، جاء فيها:

«لمحمد رسول الله، إني مقرّ بالإسلام، مصدق به، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أنت الذي بشر بك عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام»<sup>(3)</sup>.

وحمل الرسول إلى النبي ﷺ هدية، وكان حامل الرسالة مسعود بن سعد، ورد رسول الله ﷺ برسالة إلى فزوة، جاء فيها: «من محمد رسول الله، إلى فزوة بن

(1) السيرة النبوية (3-4/526). وانظر: الطبقات الكبرى (1/289).

(2) السيرة النبوية (3-4/526). وانظر: الطبقات الكبرى (1/290).

(3) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (1/281).

عمرو، أما بعد: فقد قدم علينا رسولك، وبلغ ما أرسلت به، وخبر عما قبلكم، وأتانا بإسلامك، وأن الله هداك بهداه، إن أصلحت، وأطعت الله ورسوله، وأقمت الصلاة، وآتيت الزكاة»<sup>(1)</sup>.

ثم أكرم النبي ﷺ مسعود بن سعد باثنتي عشرة أوقية .

ويبلغ ملك الروم إسلام فروة، فدعاه وقال له: ارجع عن دينك، نملكك . قال: لا أفارق دين محمد، وإنك تعلم أن عيسى قد بشر به، ولكنك تضمن بملكك . فحبسه، ثم قدمه للقتل، فأنشد قائلاً:

بَلِّغْ سُرَاةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْبِي سَلَّمَ لِرَبِّي أَعْظَمِي وَمَقَامِي  
ثُمَّ قُتِلَ وَصُلِبَ<sup>(2)</sup>.

الدلالات التي يمكن استخلاصها من هذه الرسائل :

(1) - اعتمد الرسول ﷺ على منهج القرآن الكريم، في عرضه لكل ما يتعلق بالمسيحية والمسيح وحقيقته، وأن المسيح عبد الله ورسوله، وكلمته، وروح منه، ألقاها إلى مريم العذراء .

(2) - المبدأ الذي وضعه الرسول الكريم ﷺ في موضوع اللقاء مع المسيحيين، هو قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64] .

(3) - أضفى الرسول الكريم ﷺ على رسائله جَوْاً من السلام، ليعبّد الطريق أمام اللقاء والحوار مع المسيحيين، حتى يصل بهم إلى الحق، وذلك بقوله: «سلم أنت» . وقوله: «أسلم تسلم» . وقوله: «سلم أنتم» .

(4) - حرص الرسول ﷺ على طمأنينة الملوك والأمراء بعدم المساس بممالكهم، وملكهم، إذا هم أسلموا، وهذا يدل على أن أهداف النبي ﷺ من الرسائل هي

(1) المرجع السابق (281/1) .

(2) انظر: المرجع السابق (281/1) . والسيرة النبوية (3-4/592) . والإصابة (207/3) .

الدعوة إلى الله تعالى، و فقط، وهو أيضاً باب من أبواب الترغيب بالإسلام .

(5) - تكرار قضية: وقوف القضايا المادية (المال، الجاه، السلطان) عقبة في وجه الحق، وصعوبة تخلي الملوك والأمراء عن عروشهم، مع أنهم يعلمون الحق كل العلم. (هرقل، هوذة، الحارث).

(6) - معرفة المسيحيين، وبخاصة علماءهم، بأن هناك نبياً سيظهر، وتطابق الصفات التي يجدونها عندهم في كتبهم، التي تصف النبي المنتظر، مع صفات النبي ﷺ، وقد توضح ذلك كله من خلال كلام هرقل وأركون الشام، وضغاطر الأسقف، ومُري خادم الحارث الغساني.

(7) - إن مطالبة الصحابي عمرو بن أمية الضمري، مطالبة النجاشي بأن يكون الإنجيل الموجود في عصرهم حكماً بينهم، وبين النبي ﷺ يدل على أن ذلك الإنجيل كان يحتوي بلا ريب على التبشير الصريح بالنبي محمد ﷺ.

(8) - إن ذكر النبي ﷺ لأسماء الأنبياء، وبخاصة إبراهيم وإسحق ويعقوب، هو تذكير للمسيحيين بأصول دينهم، وأن المنشأ واحد لكل الأديان السماوية.

(9) - ملاحظة أن أغلب من وصلتهم الرسالة النبوية قد أسلموا.

## المبحث الثالث

### الأحاديث التي تحدث بها النبي عن المسيح والمسيحية ودلائلها

يتبين لدى استعراض الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ عن المسيحية والمسيح - عليه السلام - أن هناك خطوطاً رئيسة يمكن استخلاصها من هذه الأحاديث.

حيث اتبع النبي ﷺ منهج القرآن الكريم في عرضه للمسيحية، وذلك من خلال كلامه ﷺ عن المسيحية الحقيقية التي جاء بها المسيح - عليه السلام - ووصف حقيقته.

ثم عرضه ﷺ للأخطاء التي وقع فيها المسيحيون، بعد المسيح، وأتبع هذا العرض بالتحذير للمسلمين من هذه الأخطاء، لأجل ألا يقعوا فيها.

وتتمثل هذه الخطوط من خلال المطالب التالية:

## المطلب الأول

### الأحاديث التي ذكر بها النبي ﷺ المسيح

أولاً: تحدث النبي ﷺ عن الوصف الجسدي للمسيح - عليه السلام - فقال: «رجل آدم، كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال، سَبَطَ الشعر، له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمَم، تضرب لِمَتُهُ بين منكبيه، يقطر رأسه ماء، رَبِيعَةٌ، أحمر، كأنما خرج من دِيمَاسٍ»<sup>(1)</sup>.

ثانياً: تحدث النبي ﷺ - عن كمال أم المسيح - عليهما السلام - فقال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون»<sup>(2)</sup>.

ثالثاً: تحدث النبي ﷺ عن حفظ الله تعالى للمسيح وأمه - عليهما السلام - وذلك بحفظه تعالى لهما من المسّ والأذى الشيطاني، فقال: «ما من مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً، من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها»<sup>(3)</sup> ثم تلا أبو هريرة - راوي الحديث - قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: 36].

رابعاً: تحدث النبي ﷺ عن معجزة من معجزات المسيح - عليه السلام - وهي معجزة كلامه في المهد وهو رضيع، فقال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: - وذكر عيسى عليه السلام»<sup>(4)</sup>.

خامساً: تحدث النبي ﷺ عن عظيم خوف المسيح - عليه السلام - من الله تعالى، وخضوعه التام له، فقال: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق؛ فقال له: أسرقت؟ قال: كلا، والذي لا إله إلا هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»<sup>(5)</sup>.

(1) رواه البخاري في صحيحه (255/2) (آدم: أسمر) (لمة: غرة) (ديماس: حمام).

(2) رواه البخاري في صحيحه (253/2).

(3) رواه البخاري في صحيحه (253/2).

(4) رواه البخاري في صحيحه (254/2).

(5) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

سادساً: وهذه النقطة هي أكثر موضوع تحدث به النبي ﷺ عن المسيح - عليه السلام - وهي قضية نزول المسيح في آخر الزمان، حيث تضافرت الروايات الصحيحة في ذلك<sup>(1)</sup>، يقول النبي ﷺ في أحد هذه الأحاديث: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد»<sup>(2)</sup>.

## المطلب الثاني

### الأحاديث التي تحدث بها النبي ﷺ عن المسيحية وأهلها

أولاً: النبي ﷺ يبشر كل مسيحي آمن بالمسيح ابن مريم - عليهما السلام - ثم آمن برسالة الإسلام، وبالنبي الكريم ﷺ بأن له أجرين في الثواب عند الله تعالى، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إذا أدب الرجل أمته، فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، كان له أجران. وإذا آمن بعبسى، ثم آمن بي فله أجران. والعبد إذا اتقى ربه، وأطاع مواليه فله أجران»<sup>(3)</sup>.

ثانياً: يمتدح النبي ﷺ طائفة من أهل الكتاب، بسبب تمسكهم بمنهج الأنبياء - عليهم السلام - وكيف أن الله تعالى قد اطلع إلى الخلق قبل بعثة النبي محمد ﷺ فأبغضهم إلا هؤلاء النفر المؤمنين، فقال: «إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عجميهم وعربيهم، إلا بقايا من أهل الكتاب»<sup>(4)</sup>.

ثالثاً: النبي ﷺ يجعل الإيمان بالمسيح - عليه السلام - بأنه عبد الله ورسوله، من جملة مستلزمات الإيمان، التي توصل صاحبها إلى رضا الله تعالى، فيقول: «من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، والجنة حق، والنار حق،

(1) انظر: التصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص56) وما بعدها.

(2) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

(3) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

(4) رواه أحمد في مسنده (162/4).

أدخله الله الجنة، على ما كان من العمل»<sup>(1)</sup>.

رابعاً: النبي ﷺ يضع قاعدة مهمة في قضية الحوار مع المسيحية، حتى لا يصل المسلم إلى نقطة الصراع الجدلي العقيم مع المسيحيين؛ وهذه القاعدة هي: عدم موافقة أهل الكتاب في كل ما جاؤوا به، وعدم مخالفتهم في كل ما يدعون به في كتبهم، فيقول: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم»<sup>(2)</sup>.

وتأتي الرواية الأخرى لتوضح السبب في هذه القاعدة، وهي قوله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق»<sup>(3)</sup>.

ويعلل الكرمانى<sup>(4)</sup> هذا الحديث بقوله: «لقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وليس لدينا ما نستطيع به أن نميز الصحيح من الباطل، فيما نقله مؤلفوها، فنحن لا نصدقهم، حتى لانكون شركاءهم فيما حزفوه من هذه الكتب، ولا نكذبهم، لإمكان أن يكون ما نقلوه صحيحاً، فنكون قد أنكرونا ما أمرنا بالإيمان به»<sup>(5)</sup>.

خامساً: وصايا النبي ﷺ للمسلمين بحسن الصلة، والمعاملة للمسيحيين، وفق مايلي:

(أ) - وصايا النبي ﷺ بأهل الذمة عامة<sup>(6)</sup>، ومن ذلك قوله: «أوصيكم بذمة الله، فإنه ذمة نبيكم»<sup>(7)</sup>.

ويحذر الرسول الكريم ﷺ من الاعتداء على أهل الذمة بالقتل، فيقول: «من قتل

(1) رواه البخاري في صحيحه (254/2).

(2) رواه البخاري في صحيحه (100/3).

(3) رواه أحمد في مسنده (338/3).

(4) محمد بن يوسف الكرمانى، ت (786هـ/1384م). انظر: الدرر الكامنة (310/4).

(5) انظر: الرد على التنصاري للجمفري (ص29).

(6) انظر: تعريف أهل الذمة (ص37) من هذا الكتاب.

(7) رواه البخاري في صحيحه (201/2).

نفساً معاهدًا لم يَرِخ رائحة الجنة، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(1)</sup>.  
 (ب) - تخصيص النبي ﷺ الوصية بأقباط مصر المسيحيين، بقوله: «إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»<sup>(2)</sup>.  
 سادساً: نهى الرسول ﷺ عن الجدل في القضايا الدينية، بقوله: «إياك والخصومة والجدال في الدين» والنهي هنا محمول على عدم جعل الجدل الديني سبباً للحروب والفتن<sup>(3)</sup>.

### المطلب الثالث

الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ العلاقة الخاصة بينه وبين المسيح - عليه السلام - ووحدة الرسالات السماوية

أولاً: النبي ﷺ يتحدث عن الصلة الكبيرة التي تربطه بالمسيح - عليه السلام - والسبب في ذلك هو عدم وجود نبي يفصل بين رسالتهما، ويبين ﷺ أنه أولى الناس بعيسى ابن مريم، أي أنه أقرب الناس، وأكثرهم معرفة بحقيقة المسيح، ودينه، وشريعته، فيقول: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، في الدنيا والآخرة، ليس بيني وبينه نبي»<sup>(4)</sup>.

ثانياً: وضع النبي ﷺ القاعدة الواضحة للقاء الأنبياء - عليهم السلام - ووحدة أصول دياناتهم، وذلك من خلال مثالين هما:

(أ) - الأنبياء مثلهم في اتحاد عقائدهم، وأصول دياناتهم، واختلاف شريعة كل واحد منهم، مثل الإخوة من أب واحد، وأمهاتهم مختلفة، فيقول ﷺ: «الأنبياء إخوة لِعَلَّات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»<sup>(5)</sup>.

(1) رواه البخاري في صحيحه (194/4).

(2) رواه الحاكم في المستدرک (553/1).

(3) رواه الدارمي في سننه (90/1).

(4) رواه البخاري في صحيحه (255/2).

(5) رواه البخاري في صحيحه (255/2).

(ب) - يشبه النبي ﷺ تكامل رسالات الأنبياء - عليهم السلام - ووحدة الهدف الذي جاؤوا من أجله، ببيت رجل بناه فأحسن بناءه، ولم يبق إلا موضع لبنة لم تكمل، فكانت بعثته ﷺ هي تلك اللبنة المكملة للبناء، فيقول: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبل كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلاً وضعت هذه اللبنة. فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: حذر النبي ﷺ من اتخاذ المفاضلة بين الأنبياء - عليهم السلام - وسيلة وسبباً للجدال، والخصومة بين أتباع الديانات، فهو يرفض أن يفضله الناس على الأنبياء، حتى لا يكون هذا التفضيل سبباً للبغي والظلم والاختلاف، فيقول: «لا تخيروني على موسى»<sup>(2)</sup>. ويقول أيضاً: «لا تخيروا بين الأنبياء»<sup>(3)</sup>. وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: 285].

## المطلب الرابع

الأحاديث التي ذكر فيها النبي ﷺ الأخطاء

التي وقع فيها المسيحيون، ليحذر أمته منها

أولاً: يبين النبي ﷺ أن سبب انحراف المسيحية عن حقيقتها هو المغالاة التي غالى بها المسيحيون في مدح وتعظيم المسيح - عليه السلام - ويحذر من هذا الأمر فينهاي أن تعظمه أمته، أو تغالي بمدحه، فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(4)</sup>.

ثانياً: ينهى النبي ﷺ أمته عن كثرة التساؤلات، ويأمرهم بالعمل على قدر استطاعتهم، حتى لا يقعوا في نفس الأخطاء التي وقع فيها من كان قبلهم، فيقول:

(1) رواه البخاري في صحيحه (270/2).

(2) رواه البخاري في صحيحه (60/2)، وانظر قصة الحديث في نفس الصفحة.

(3) المرجع السابق.

(4) رواه البخاري في صحيحه (256/2).

«ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك أهل الكتاب قبلكم، بكثرة اختلافهم على أنبيائهم، وكثرة سؤالهم، فانظروا ما أمرتكم به فاتبعوه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فدعوه»<sup>(1)</sup>.

ثالثاً: يخبر النبي ﷺ بأمر غيبي، وهو أن هذه الأمة سوف تسير على نفس الطريق الذي سارت عليه اليهود والنصارى، فيقول محذراً: «لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحر ضَبَّ لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!»<sup>(2)</sup>.

رابعاً: يحذر النبي ﷺ أمته، من أن تصل إلى مرحلة لا تستفيد فيها من تلاوة القرآن الكريم، بحيث يُصبح القرآن حجة عليها لا لها، كما حصل مع أهل الكتاب، يقول الحديث: «ذكر رسول الله ﷺ ذهاب العلم؛ فقلنا: يا رسول الله، وكيف يذهب العلم؟ ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة. فقال: ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد، إن كنت لأراك من أफقه رجل بالمدينة، أليس هذه اليهود والنصارى، يقرؤون التوراة والإنجيل، فلا ينتفعون مما فيها بشيء»<sup>(3)</sup>.

خامساً: يرفض النبي ﷺ منهج وعمل اليهود والنصارى، في مغالاتهم بتعظيم أنبيائهم، مما أوصلهم إلى عبادتهم، وكان السبيل إلى ذلك هو بناؤهم المساجد على القبور، فيقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قال ابن عباس - رضي الله عنهما - راوي الحديث: «يحذر مما صنعوا»<sup>(4)</sup>.

سادساً: بالإضافة إلى تقديس الأنبياء وتعظيمهم، يحذر النبي ﷺ من تعظيم، وتقديس العلماء، خشية الوصول إلى مرحلة العبادة، فقد جاء في الحديث: «كانت أم سلمة، وأم حبيبة أتتا من أرض الحبشة، فذكرتا كنيسة، يقال لها: سارية، من

(1) رواه أحمد في مسنده (457/2).

(2) رواه البخاري في صحيحه (257/2).

(3) رواه أحمد في مسنده (219/4).

(4) رواه البخاري في صحيحه (93/3).

حسنها وتصاوير فيها، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله»<sup>(1)</sup>.

سابعاً: يبين النبي ﷺ صورة سلبية وقع فيها أهل الكتاب، ويخبر أمته بأنها ستقع في نفس هذه الصورة السلبية، ألا وهي الفرقة والتمزق، فيقول: «إن أهل الكتابين اختلفوا في دينهم إلى اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين ملة»<sup>(2)</sup>.

\* \* \*

---

(1) رواه البخاري في صحيحه (232/1).

(2) رواه أحمد في مسنده (102/4).

## الفصل الثالث

### مبادئ الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء الكتاب والسنة

إن استعراض الفصلين السابقين، يبين بوضوح كيف كان منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في موضوع العلاقات الإسلامية المسيحية، ولذلك يمكن استخلاص المبادئ الرئيسة، التي يمكن أن يُبنى عليها الحوار الإسلامي المسيحي. ولكن قبل البدء في عرض هذه المبادئ. لابد من معرفة العناصر التي يجب أن تتوفر في عملية الحوار بشكل عام، وهذا ما سيعرض في المبحث الأول.

### المبحث الأول

#### العناصر الواجب توفرها في قضية الحوار بشكل عام<sup>(1)</sup>

يجب أن يعيش الحوار في مناخ واضح الملامح، هادف في قضايا المعروضة، بعيد عن المؤثرات النفسية أو الخارجية، منضبط في كل مراحله. وهذا لا يمكن أن يتوفر دون العناصر التالية:

العنصر الأول: شخصية الطرف المسلم المحاور:

يجب أن تمتلك الشخصية المسلمة المحاور الصفات التالية:

---

(1) انظر: الحوار في القرآن (ص35) ومابعداها. وأسلوب المحاور في القرآن (ص27) ومابعداها. وضوابط المعرفة (ص372) ومابعداها.

1- الإيمان العميق، بمبادئ الإسلام وأهدافه .

2- العلم الواسع، بالإسلام وأحكامه، والمسيحية ومبادئها.

3- الحكمة الشاملة.

4- الحرية الفكرية.

ولابد من توضيح النقطتين الأخيرتين لأهميتهما، وهما الحكمة الشاملة، والحرية الفكرية.

(1) - الحكمة الشاملة: ورد موضوع الحكمة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وورد بلفظ الحكمة في عشرين موضعاً<sup>(1)</sup>. من ذلك قول الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[البقرة: 269].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه بعض نعمه على بعض عباده، فاختص من بين نعمه التي ذكرها نعمة النبوة والرسالة، ونعمة الحكمة، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾

[النساء: 54].

ومن بين الذين اختصهم الله تعالى بالحكمة نبيه داود - عليه السلام - قال الله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: 20].

وأيضاً نبي الله عيسى - عليه السلام - أكرمه الله بالحكمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [الزخرف: 63].

ومن بين عباد الله الصالحين الذين اختصهم الله بالحكمة لقمان الحكيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: 12].

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص 213).

وكانت الحكمة إحدى المهمات الأربع الرئيسة التي حملها رسول الله ﷺ إلى أمته وهي:

- 1- تبليغ كتاب الله تعالى، ودعوة الناس إليه.
- 2- تزكية النفوس، وتطهيرها من آثامها.
- 3- تعليم أحكام القرآن الكريم، وشرحها.
- 4- تعليم الحكمة.

وقد وردت هذه المهمات في أربعة مواضع في القرآن الكريم، اثنان منهم في سورة البقرة، وواحد في سورة آل عمران، وواحد في سورة الجمعة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: 164].

وقد رسم الله تعالى لرسوله ﷺ أسلوب الدعوة إليه تعالى، فكان أحد أركان هذا الأسلوب: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة.

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لِهَدْيِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

وتُعرف الحكمة بأنها: العلم بحقائق الأشياء، على ما هي عليه في الوجود، بقدر الطاقة البشرية، ثم العمل بمقتضاها. وهي تنقسم إلى: حكمة عملية، وحكمة نظرية<sup>(1)</sup>.

ولذلك اعتبر العلماء - وبخاصة المفسرون - الحكمة هي سنة النبي الكريم ﷺ من حيث أقواله، وأفعاله، وتقريراته<sup>(2)</sup>.

وقد سميت السنة النبوية بالحكمة، لأن الحكمة تشتمل على: سداد القول،

---

(1) انظر: كتاب التعريفات (ص96). وفصوص الحكم (3/2). وتفسير التحرير والتنوير (327/14).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم (554/1).

وصواب العمل، وإيقاع ذلك في واقعه، ووضعه في مواضعه اللائقة. ولاشك أن أقواله ﷺ وأفعاله، وأحواله وإقراره، جميع ذلك هو عين الحكمة<sup>(1)</sup>.

والذي يتعلق هنا بشخصية الطرف المسلم المحاور، أن يكون ذلك المسلم على المستوى اللائق من الحكمة بمفهومها الشامل، حيث يعلم حق العلم ما هو مقدم عليه في حوار مع المسيحيين، ويسلك إلى ذلك الحوار أفضل السبل التي يراها كفيلة بإيصال دعوة الله تعالى إليهم على حقيقتها، وجمالها، ومحاولاً عدم تنفيرهم منها، مستهدياً في ذلك خطأ النبي ﷺ، في حكمته الشاملة، التي استطاع بها - عليه الصلاة والسلام - أن يأخذ بقلوب وعقول من التقاهم من المسيحيين، إلى طريق الإسلام والإيمان.

(2) - الحرية الفكرية: مع وجود الثقة بها، فلا يمكن أن يكون المحاور واقعاً تحت إرهاب فكري، أو نفسي، يشعر من تأثيره بضعفه، أو سقوطه أمام شخصية الطرف الآخر، وذلك برفضه لكل مظاهر العظمة، والافتخار والتعالي عند الطرف الآخر.

ويمكن رؤية هذا بوضوح في القرآن الكريم، ومن خلال سيرة النبي ﷺ.

فالقرآن الكريم يعرض أمراً واضحاً في الحوار بين النبي ﷺ وبين الأطراف الأخرى التي يحاورها خلال مسيرة الدعوة، وهذا الأمر يقول: إن الرسول الكريم ﷺ بشر مثل سائر البشر، ولم يتفضل عليهم إلا بتلك الرسالة الربانية، ومهمته التبليغ والتوضيح وحسب.

فبهذا العرض تزول كل مظاهر السيطرة أو التعالي، أو عملية الاحتواء بسبب الصفات أو الألقاب أو الإيحاءات<sup>(2)</sup> التي قد تُعرض من قبل الأطراف المتحاوره لأجل الهيمنة على الطرف المقابل.

وفي ذلك يقول الله تعالى موضحاً هذه النقطة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [الكهف: 110].

(1) انظر كتاب: سيدنا محمد رسول الله ﷺ (ص 98).

(2) مثل ألقاب: البروفسور، الدكتور، الأستاذ العلامة، صاحب القداسة...

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الاعراف: 188].

فالأيات واضحة في دلالاتها: إنها تشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ لا يمكن أن يمارس هيمنة وسلطة وتكبراً على الذين يقوم بدعوتهم، بسبب أنه رسول الله تعالى، بل توضح الآيات حقيقة الرسول أنه بشر ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً: (إنه بشر)، و (لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً).

فإذا كان الرسول ﷺ يرفض ممارسة أي إرهاب أو تخويف على الأطراف التي يدعوها للإسلام، لكي يترك لها الحرية والاستقلالية في التفكير، فمن باب أولى يجب أن تكون للمسلم الذي يحاور الآخرين هذه الحرية والاستقلالية في التفكير، بعيداً عن هيمنة الألقاب والمناصب، أو ما يسمى بالفارق الحضاري.

### العنصر الثاني: شخصية الطرف الآخر المحاور:

حيث يطلب أن توجد لديه الرغبة الواضحة في الوصول إلى الحق، والاعتراف به إذا ظهر، والإذعان له، وكل ذلك خوفاً من تحوّل الحوار إلى نوع من الجدل العقيم، الذي لا يراود منه إلا الجولات الكلامية التي لا تفيد.

ولذلك ركّز القرآن الكريم على رفض أمثال هؤلاء الذين لا يريدون الحق أو الوصول إليه، ويعاندون الدليل إذا ظهر صوابه.

يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِجِ لَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مِنْهُ لَا يُؤْمِنُوهَا حَقًّا إِذَا جَاءَكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: 25].

فأمثال هؤلاء المعاندين لا يمكن الجلوس معهم على مائدة واحدة للحوار، لأنهم وإن عُرض عليهم الحق فلن يقبلوه، بسبب مكابرتهم، وحتى لو عرضوا مقدماً أنهم يريدون الأدلة الصحيحة على الأفكار المعروضة، إلا أن طلبهم لهذه الأدلة لن يفيد شيئاً، فليست القضية طلباً للأدلة، أو عدم طلب لها، بل القضية فقدان الاستعداد للإيمان بالحق، والإذعان له عند ظهوره.

ويأتي تصوير القرآن الكريم لهؤلاء واضحا في قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: 109].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ لَوَكَّلْنَاَهُمُ الْتُوفَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ وَفِي مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: 111].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكِيَّةُ أَوْ نُرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: 21].

### العنصر الثالث: إيجاد المناخ الهادي للتفكير المستقل:

أي الابتعاد عن كل المؤثرات الداخلية والخارجية، وبخاصة الانفعالات التي قد يحملها أحد الأطراف تجاه الطرف الآخر.

فمثلاً كانت قريش عندما يُعرض عليها الإسلام، تبني كل أفكارها في الحوار مع النبي ﷺ على مؤثر وانفعال خاص بها، ولا تريد أن تتجاوزها، ألا وهو: أن النبي ﷺ الذي يدعوها إلى الإيمان هو بشر مثلها. وتنسى أهداف الدعوة، وكل المبادئ التي تتقدم بها.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 94].

وفي موضع آخر يطلب القرآن الكريم من الآخرين أن يتجردوا عن الجو الانفعالي في نظرتهم إلى الرسول ﷺ فقد اتهموه بالجنون، وأصبحت هذه التهمة تسيطر على تفكيرهم، فدعاهم القرآن الكريم إلى التجرد عن هذا كله، ثم دعاهم إلى البحث العلمي والمنطقي في الرسالة السماوية.

يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْفَىٰ وَقُرْدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبا: 46].

العنصر الرابع : العلم بموضوعات الحوار :

إذ لابد لطرفي الحوار من معرفة الموضوعات التي يريدون التحوار حولها ، لأن الجهل سيؤدي إلى المهاترات أو الشتائم ، ليغطي كل طرف عجزه وجهله بالأفكار المعروضة .

وقد صور القرآن الكريم أولئك الذين يريدون الحوار دون علم بموضوعاته التي سيتحاورون فيها ، في قوله تعالى : ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءَ حَاجِبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجِرُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : 66] .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ أَكْذَابٌ مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : 39] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾

[لقمان : 20] .

## المبحث الثاني

### منهج الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء الكتاب والسنة

سبق في المبحث السابق ذكر العناصر التي وضعها القرآن الكريم لأي حوار بين المسلمين وغيرهم ، وكانت السنة النبوية مطبقة - بشكل واضح - لهذه العناصر . وفي هذا المبحث لابد من معرفة المبادئ التي يجب السير في مراحلها في موضوع الحوار الإسلامي المسيحي ، وهي على النحو التالي :

المبدأ الأول : الدعوة إلى الله تعالى .

يقوم الحوار الإسلامي المسيحي ومشروعيته من الكتاب والسنة على مبدأ إسلامي واضح ، وهو مبدأ الدعوة إلى الله تعالى ، ودين الإسلام .

وتعتبر الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم المنظور الإسلامي العام والخاص ، إذا

فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام، مع القريب والبعيد، والعدو والصديق، ومع كافة أصناف البشر، ومختلف العقائد والتيارات الفكرية والملل والنحل .

والآيات التي تحدثت عن هذا المبدأ كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[آل عمران: 104].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [نصرت: 33].

والمهمة الأولى في قضية الدعوة إلى الله تعالى هي: عرض الإسلام بجوهره الحقيقي، وثوبه القشيب، ووضوح رسالته، وإبراز جماله، وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية، الخاصة والعامة، وصلاحية تشريعه لكل زمان ومكان، وأن رسالة الإسلام ما جاءت إلا لتسعد الإنسانية جمعاء، وتوضح لهم سبل النجاة، والأمن، والاطمئنان، والعيش بسلام ومحبة وإخاء، ويقول الله تعالى عن مهمة الرسول الكريم ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107].

**المبدأ الثاني: سبيل الدعوة إلى الله تعالى هو الحكمة والموعظة الحسنة:**

إن أي حوار يقوم بين طرفين لا بد وأن تكون له إحدى وجهتين:

- الوجهة الأولى: قيام الحوار على مبدأ العنف: وتقوم هذه الوجهة على مواجهة الخصم بأشد الكلمات، وأقسى الأساليب، ويتركز فيها العرض على التجريح والتنقيص، وإحصاء الأخطاء والعترات، وأحياناً تصل إلى مرحلة الإهانة، ولا مجال فيها لمراعاة الشعور والعواطف، أو احترام العقائد والمقدسات. بل تصبح المواجهة وكأنها تحدٍ صارخ للشعور الإنساني.

وهذه الوجهة لا تحتاج إلى التأكيد على عدم جدواها، بل هي على العكس ستؤدِّد المزيد من الأحقاد والبغضاء، وبُعْدِ الشُّقَّةِ بين المتحاورين، وعدم إمكانية التقريب بين وجهات النظر.

وما أروع القرآن الكريم حين نبه الرسول ﷺ إلى الحذر من هذه الوجهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

ويأمر القرآن الكريم النبي ﷺ عندما يتوقف الحوار، وتتعطل سبل الدعوة إلى الله تعالى، يأمره بالانسحاب الهادئ، وإنهاء العلاقة بالطف العبارات، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيحُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[يونس: 41].

وقد حذر النبي ﷺ من عرض الإسلام بشكل عنيف صاخب، فقال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا»<sup>(1)</sup>. وكانت هذه العبارة وصيته الدائمة ﷺ لمن كان يرسل من أصحابه في المهمات.

- الوجهة الثانية: قيام الحوار على مبدأ عدم العنف: أي الحوار الهادئ. وهو الطريقة السلمية التي تعتمد على اللين والمحبة أساساً للحوار، ولذلك لا بد من سلوك هذه الطريقة، بالكلمات الطيبة المرنة، التي تفتح القلوب على الحق، وتقرب الأفكار إليه، وتخطب فطرة الإنسان ووجدانه، بعيداً عن كل المعاني الشديدة، والألفاظ القاسية.

وتقوم هذه الوجهة على النقاط التالية:

(أ) - الحوار بالتي هي أحسن:

ويتضح ذلك من خلال الآيات التالية:

1- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

2- وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

(1) رواه البخاري في صحيحه (24/1).

3- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المنكوت: 46].

فالتي هي أحسن، هي التعبير عن الحوار الهادئ، والأسلوب السلمي.  
وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ  
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: 34]. فقد جاء فيه تعبير السيئة، وهو مبدأ  
العنف، والحوار الصاخب، والأسلوب الشديد.

وعندما يختار القرآن الكريم مبدأ الحوار الهادئ، والأسلوب السلمي، وطريقة  
اللين، يشير إلى نتائج هذا المنهج، وهي نتائج تكاد تكون خيالية، إنها تُحوّل العدو  
إلى صديق، والمبغض إلى محب، والبعيد إلى قريب.

وبهذا كله يتحقق للحوار هدفه، وهو الوصول إلى الإيمان، أو إلى أكبر قدر من  
الفهم المشترك في الأسس والأهداف.

والحوار بالتي أحسن يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها، في إقناع الطرف  
الآخر بالفكرة التي يدور حولها الحوار، بحيث يظل المسلم في بحث دائم عن  
الأساليب التي توصله إلى الطريقة الأفضل في موضوع (التي هي أحسن)، سواء في  
المنهج، أو الفكرة، أو الأسلوب، أو انتقاء العبارات.

(ب) - اعتماد العقل والتفكير السليمين:

يهدف القرآن الكريم إلى إبراز الحجّة والبرهان، والمنطق العلمي والعقلي،  
ويتابع التسلسل المنطقي في كل فكرة يوردها، ويدلّل عليها.

وتقوم هذه النقطة على الأسس التالية:

أولاً: تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى.

ثانياً: إثبات صحة النقل في الأمور المرورية المنقولة.

وهذا ما تشير إليه القاعدة التالية في منهج علماء المسلمين في بحثهم عن  
الحقيقة، وهي: إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدّعياً فالدليل<sup>(1)</sup>.

(1) انظر: ضوابط المعرفة (365) وما بعدها. وكبرى اليقينيّات الكونية (ص34) وما بعدها.

ولعل مثلاً واحداً يوضح هذه الفكرة، وهو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

فبكل عقلانية ومنطق سليمين يقول القرآن: إنكم يامن اتخذتم المسيح إلهاً من دون الله عز وجل، لأنه قد خلق بمعجزة، وهي كونه قد ولد من دون أب، فإن آدم - عليه السلام - من قبله، قد خلق من تراب، أي من دون أب أو أم، - وأنتم تؤمنون بهذا - فلماذا لا يكون آدم إلهاً لكم أيضاً، بناء على نفس المنطق الذي تسرون عليه، مع أن معجزة آدم أعظم من معجزة المسيح، ولكن عيسى ليس إلا مثلاً كمثال آدم - عليهما السلام -.

(ج) - التجرد عن الأحكام المسبقة:

وهذا هو الأسلوب العملي، الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة، بين المتحاورين، والتي تحول دون الوصول إلى الصواب، وتشكل حاجزاً نفسياً يصعب اختراقه.

ومعنى التجرد عن الأحكام المسبقة الخاصة: وضع مبدأ الشك في كل شيء يُعرض مبدئياً، من قبل طرفي الحوار، ويوحى مبدأ الشك هذا بضرورة أن يعيد كل طرف النظر في موقفه وأفكاره التي يحملها، أي مراجعة الذات بما تحمله من أفكار ومبادئ.

فليس لدى أحد الفريقين حكم سابق على الطرف الآخر بأنه على الهدى، أو على الضلال، ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَآ أَوْ لِيَتَّكُم لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا: 24].

إذ ليس في أسلوب القرآن الكريم مبدأ: نحن على الحق والهدى، وغيرنا على الضلال. إذ لا يمكن أن يُطلق هذا الحكم مقدماً قبل البحث والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان.

(د) - مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره:

أي على مبدأ: من فمك أديتك. وهذه النقطة تحث كل طرف على عرض كل أفكاره على ساحة الحوار، ويحاول دعم وجودها بكل الأدلة والبراهين.

وهذا أمر لا يخيف الطرف المسلم مطلقاً، بل يقول للطرف الآخر: هات ما عندك من أفكار، وأبرز حقائقها، وادعم سيرها، فيصل بذلك إلى عملية تفرغ كاملة لكل أسلحة الطرف الآخر.

ثم يعرض المسلم ما لديه من أفكار، ويقول: هذا هو الحق الذي نؤمن به، وهذا هو الهدى الذي نتبعه، فإن كان لديكم - يخاطب الطرف الآخر - طريق أفضل، أو عقيدة أصح، فنحن على استعداد لقبولها وتلقيها.

وقد جاء هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: 49].

(هـ) - عدم إثارة الطرف الآخر:

وهو مبدأ مهم جداً، لأن الإثارة ستولد انفعالاً، ومع هذا الانفعال سينحرف الحوار عن منهجه، فيؤدي ذلك إلى قطع كل الجبائل التي يمكن أن تقرب بين وجهات نظر الطرفين، ويعتمد هذا المبدأ على قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: 108].

فهذه الآية فيها نهى للمؤمنين عن شتم وسب آلهة المشركين، وهي المعبودات الباطلة، لأنهم إذا شتموها نفروا المشركين أكثر، وزادوهم بُعداً عن الإيمان.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «قالت كفار قريش لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغصص منها، وإما أن نسب إلهه ونهجوهُ»<sup>(1)</sup>.

وقد قال العلماء عن هذه الآية الكريمة: «وحكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة، وخيف أن يسب الإسلام، أو النبي ﷺ أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم، ولا دينهم، ولا كنانسهم، ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية»<sup>(2)</sup>.

(1) انظر: لباب النقول في أسباب النزول (ص119).

(2) الجامع لأحكام القرآن (61/7).

## المبدأ الثالث: الدعوة إلى نقاط التلاقي:

إن وحدة الأصل السماوي للديانات، وصدورها من نبع واحد، يدعو بشكل صريح إلى البحث دائماً عن الأسس المشتركة التي جاءت بها هذه الرسائل.

ولقد بين القرآن الكريم تلك الأسس التي تنبني عليها عقيدة الرسائل السماوية، ولذلك يضع نقاطاً واضحة في عملية التقريب بين المسلمين والمسيحيين؛ فهو يطلب من المسيحيين الإقرار بتلك النقاط، ويظهر هذا من خلال الآيات الآتية:

(1) - قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: 64].

فهذه هي البداية الأولى للقاء والتقارب، وهي الكلمة السواء، كلمة الحق والعدل، التي تسوي بين الجميع، إنها كلمة الإذعان والخضوع لإله واحد خالق، لا شريك له، وهذا هو منطوق الآية: ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾.

(2) - وقوله تعالى: ﴿ ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ [البقرة: 285].

(3) - وقوله تعالى: ﴿ قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِزْهَامًا وَلَا تَسْمِيعًا وَلَا تَحْقِيقًا وَتَقْوَبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أَوْفَى مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أَوْفَى النَّبِيِّينَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنُ لَكُمْ مَسْلُومُونَ ﴾ [البقرة: 136].

(4) - وقوله تعالى: ﴿ ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: 13].

فهذا كله هو نقاط التلاقي والتقارب، التي يدعو إليها القرآن الكريم، وهي تتعلق بإيمان المسلمين بكل الأنبياء والرسل، والكتب المنزلة عليهم، دون تفریق بين أحد منهم.

إن هذه النقاط هي دعوة من خلال الحوار الإسلامي المسيحي، إلى كل المسيحيين لكي يعودوا إلى حقيقة الأديان، التي جاءت بها الرسل الكرام - عليهم السلام - من غير تحريف، ولا تشويه.

## المبدأ الرابع : عدم الإكراه مطلقاً :

من خلال عملية الحوار لا يحق لطرف أن يمارس الإجبار أو الضغط على الطرف الآخر، أو أن يستخدم الإرهاب الفكري؛ ليجوله إلى معتقده، أي يجب أن يكون سير الحوار ضمن حرية فكرية واضحة، وهذا ما تشير إليه الآيات التالية :

(1) - قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256].

(2) - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 99].

(3) - وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾

[الكهف: 29].

(4) - وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١٦﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾

[الغاشية: 22-21].

وسبب نزول الآية الأولى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أن أهل يثرب كانوا قبل الإسلام يندرون: إن رزقوا بأولاد أن ينصروهم، أو يهودوهم، فلما أُجليت بنو النضير، أراد بعض الصحابة أن يجبروا أولادهم على ترك اليهودية، والالتحاق بالمسلمين، فنزلت الآية<sup>(1)</sup>.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: «أسلمي، أيتها العجوز، تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق». قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليّ أقرب! فقال عمر: «اللهم اشهد». وتلا قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(2)</sup> [البقرة: 256].

(1) انظر: الجامع لأحكام القرآن (280/3). وتفسير القرآن العظيم (310/1).

(2) الجامع لأحكام القرآن (280/3).

## المبدأ الخامس: مبدأ الإعراض والصبر والتحمل:

ويأتي هذا المبدأ عندما لا توجد نتيجة واضحة للحوار، فلا بد حينئذ من الإعراض، بمعنى عدم متابعة الحوار، حيث إنه يصبح جدلاً، فيجب ألا ينزل المسلم عن أهدافه، وأسلوبه في الحوار، ويعامل الطرف الآخر معاملة المثل؛ إذ قد لا يتورع الطرف الآخر عن الطعن، والتشويه للإسلام وعقيدته، والنيل من عظم رسالته وسموها، والإساءة إلى نبيه ﷺ فلا يمكن مقابلة هذه الأخطاء بالطعن في المسيحية، والإساءة إلى نبيها - عليه السلام - والتنقيص من كتابها؛ فهذا هو المقصود من مبدأ الإعراض والصبر والتحمل.

والآيات التي تتحدث عن هذا المبدأ كثيرة منها:

(1) - قول الله تعالى: ﴿ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْتَرِفُوا بِمَا صَفَحْنَا عَنْ يَدِ اللَّهِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: 109]. فهنا أمر واضح بالإعراض عن الخوض مع أولئك الذين يريدون الانحراف عن الحق إلى غيره، وطالب أيضاً بالصفح عنهم.

(2) - وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ [البقرة: 139].

(3) - وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلْتُ رَبِّيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَاسَلْتُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بِصِيرَاتٍ بِالْإِبْرَةِ ﴾ [آل عمران: 20].

(4) - وقوله تعالى: ﴿ لَتُجْلِبُوا فِيَ أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصِيرُوا تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: 186].

(5) - ولعل سورة (الكافرون) توضح هذه الفكرة بكل صراحة، وهي التي تسمى السورة الفاصلة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مِمَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: 1-6].

## المبدأ السادس : مبدأ التعايش السلمي :

ويعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، وهي مرحلة التعايش السلمي، وعدم تعرض كل طرف لمقدمات ومعتقدات الطرف الآخر .

والإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان، وذلك عندما لا يجدي الحوار في أمور العقيدة، وحتى لا يتحول الحوار إلى جدال متوتر ينسف كل أجواء التعايش من أساسها .

والقرآن الكريم واضح صريح في هذه النقطة، حيث يبين أنه لا حرج على المسلم أن يحيا التعايش السلمي، بينه وبين أي إنسان مخالف له في دينه ومعتقده ولم يظهر الطرف الآخر على المسلم بالعداوة والتحريض، أو الإساءة والخيانة، وهذا التعايش السلمي قائم على أساس من العدل والإحسان، يقول الله تعالى: ﴿ لَا يَتَّهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (1) [المتحنة : 8] .

ويبدو هذا المبدأ واضحاً في تطبيقات النبي ﷺ كما سبق مع وفد نصارى نجران، حين وصل الحوار إلى طريق مسدود، وتوقفت القدرة على الحوار، عند ذلك تحول الرسول ﷺ إلى مبدأ التعايش السلمي، ووضع مبادئ العيش المشترك، من خلال المعاهدات التي سبق التحدث عنها(2) .

وقبل ختم هذا الفصل لابد من الإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة حول مبادئ الحوار الإسلامي المسيحي، وهي :

الملاحظة الأولى : إن المبدأ الخامس للحوار مع المسيحيين، وهو مبدأ الصبر والإعراض والتحمل، لا يعني مطلقاً ترك الدعوة إلى الله تعالى، أو إيقاف عملية

(1) انظر سبب النزول : لباب النقول (ص 291) . وصحيح البخاري (95/2) .

(2) انظر نص المعاهدات في التمهيد والفصل الثاني من الباب الأول من هذا الكتاب : (ص 42-46-50-138) .

عرض الإسلام على حقيقته، وإبراز جماله، والحث على الإيمان به، والتبشير بمعتقداته بين صفوف جميع أتباع الأديان والمعتقدات الأخرى، وبشتى الوسائل، ومختلف الطرق.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (١١) وَمَا نَفَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِنَبِيِّهِمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: 13-15].

الملاحظة الثانية: إن مبادئ الحوار الإسلامي المسيحي هذه كلها لا تعني مطلقاً أن تتوقف عملية الدفاع عن الإسلام، ومحاربة الشبه والافتراءات التي يطلقها الطرف الآخر في كل فترة من الفترات، وبعده أشكال، وبخاصة تلك الافتراءات التي تمس جوهر الإسلام، وعقيدته، وتسيء إلى نبيه ﷺ وإلى أحكامه وشرائعه.

الملاحظة الثالثة: في حال رفض الطرف الآخر لكل أشكال الحوار، وظهور عدم رغبته في التعايش السلمي، وفي حال اندفاعه إلى محاربة الدعوة الإسلامية، والحد من انتشارها، والسعي إلى تدميرها، بحيث تتحول تلك الافتراءات إلى منهج كامل له. أي يسير الطرف الآخر في طريق العداء الصريح للإسلام والمسلمين، ظاهراً وباطناً، فعند وجود مثل هذه الحال لابد من الوقوف بحزم في وجه هذه الأخطاء كلها، وتوقيفها عند حدودها، وذلك بالتأديب الذي قد يصل إلى مرحلة القتال، فيكون القتال عندها واجباً شرعياً، للدفاع عن العقيدة وحرمات الدين، أي تكون الحرب في تلك الحال حرباً دفاعية وقائية، دفاعاً عن الدين، ووقاية للدعوة من التوقف والانزهاق.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْسُدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِدِينَ﴾ [البقرة: 190].

\* \* \*